

عبد الله بوقريش

# خدر عتي بحبيها

مجموعة قصصية



الطبعة الأولى  
١٤٦١ - ١٤٨١ هـ





الكتاب العربي السعودي ٤٣

عبد الله بوقس

# خارجتي حبرا

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الناشر  
**تهامة**

جدة - المملكة العربية السعودية  
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناس







## مقدمة

القصة فن رفيع عرفه العرب من قديم الزمان وقصص «ألف ليلة وليلة» و«الزير سالم» و«سيف بن ذي يزن» التي كانت حديث الركبان ومنشدي كل عصر، سبقت مثيلاتها في دنيا الشرق والغرب حتى قيل إن قصة «روبنسون كروزو» مستوحاة من «حي بن يقظان» لابن طفيل. والقصة تصوير للحياة بشتى مظاهرها وأبعادها، لهذا كانت أقرب إلى القلب والنفس من ألوان الأدب لما تحويه من انفعالات وخيالات. وأبنائنا السعوديون قد خاضوا غمار هذا اللون من الأدب بكل أنواعه، وإن كان الإنتاج المطبوع قليلاً إذا قيس بما أخرجته المطابع من روائع القصص الأدبي لعمالة هذا الفن من الأدب في عالمنا العربي.

ومن روادنا الأوائل في مجال القصة الطويلة المغفور له الأديب «حامد دمهوري» في قصته الرائعة «ثمن التضحية» وأستاذ الجيل من الأدباء المغفور له «محمد حسن عواد» في «لمياء» وهي مقالات اجتماعية ولكنها أقرب الألوان إلى الفن القصصي ومن المعاصرين الأديب «سيف الدين عاشور» في قصته الطويلة «لاتقل وداعاً» والأديب الشاعر «حسن القرشي» في قصته «عاصفة» والأديب «سعد البواردي» في قصته «من يكون أبي يا أماء؟» والأديب الكاتب الشاب «عبد الله عبد الرحمن جفري» في قصته «الكارثة شيء بسيط» والأديب «ابراهيم الناصر» في قصته «خلود».

وغيرهم من الأدباء ممن لا تحضرني أسماؤهم وأسهموا في أدب القصة بشتى ألوانها وأنواعها وكان طابع البيئة الاجتماعية بتقاليدها وعاداتها الأصيلة ومثلها الطيبة ومشكلات المجتمع وقضاياها الإنسانية والفكرية والاجتماعية متميزاً في كل ما كتب

هؤلاء الرواد من الأدباء من قصص، وعلى مضي الزمن وما نراه اليوم من نهضة أدبية كبرى في بلادنا، وتشجيع للأدباء والعلماء والمفكرين على نشر إنتاجهم يواكبها نهضة تربوية وعلمية وثقافية سامية مما يشع بالخير الكبير، ويحقق دعامة كبرى لأصالة أدبنا وفكرنا.

والقصة القصيرة أروع ما فيها أنها تجسد حياة فرد أو أسرة أو مجتمع قد يكون أشخاصها أحياء أو في دار الفناء، أو فكرة تعيش في خيال الكاتب ولكنها قل أن تخرج كثيراً عن دنيا الواقع.

وهي كلما اقتربت من الواقع كلما كانت أكثر وقعاً وتأثيراً في النفس البشرية. وأخطر هذه القصص حين يحنج خيال الكاتب فيخرج بها عن فلك الواقع إلى آمال وأحلام أو يصور الفضيلة رذيلة والسعادة تعاسة والحب العف خسة ونذالة.

ومن المؤسف أن أمثال هذه القصص والتي لا تعدو أن تكون محاكاة لتقاليد الغرب قد صادفت رواجاً في عالمنا العربي والإسلامي، وأفست مجتمعات نقيّة طاهرة وغمستها في حمأة الرذيلة.. وحين أمسكت بالقلم في محاولة لطرق الباب في كتابة القصة القصيرة، شعرت بإحساس غريب يشدني إلى واقع الحياة بكل أفراحه ومآسيه.. فالحياة طالما شدتني في كل ما كتبت سواء في التربية والتعليم أم في الأدب المسرحي، وما كنت راغباً في هذا اللون من الكتابة لِمَا تحتاج إليه كتابة هذا النوع من القصص من أساليب بلاغية رفيعة قد لا يسعفني فيها القلم، ولكن الصديق الأخ «حسن خازندار» مدير الإذاعة السعودية أصرّ على أن أطرق هذا الباب في برنامج «قصة الأسبوع» الذي كان ضمن خطة البرنامج الإذاعي ووقع اختياره عليّ ولم أجد بداً من الإذعان لتحقيق رغبته.

وقد كنت اخترت لمجموعة هذه القصص عنوان «آهات ودموع» لأن كل قصة فيها لا تخلو من آهات ودموع قد تكون دموع فرح أو أسى، غير أنني فضلت عنوان «خدعتني مجبها» إذ هو عنوان أبرز هذه القصص. وهي على أية حال محاولات في

كتابة القصة القصيرة مضى على كتابتها مايربوعلى عشر سنوات وكانت حبيسة مكتبي لولا إصرار الصديق الأستاذ «محمد سعيد طيب» مدير عام تهامة على إخراجها ضمن سلسلة الكتاب السعودي .

وقد كنت أفضل أن أعيد كتابتها من جديد في أسلوب آخر ولكن مشاغل العمل الرسمي حالت دون تحقيق هذه الرغبة، فعذراً للقارئ الكريم، وأرجو أن أتمكن في المستقبل من الاستمرار في هذا اللون من الأدب القصصي، فهو القصة المسرحية التي أحببتها والتي أرجو أن يتاح لي فراغ من الوقت للاستمرار فيها، فإشدة حاجة أدبنا السعودي إلى مزيد من أدب القصة والمسرح !

وفي تاريخنا القديم والحديث وفي مجتمعنا الكبير منهل عذب لا ينضب كلما عرفنا منه ازداد عذوبة، ونما أدبنا أصالة، ذلك أن مجتمعنا القديم والجديد حافل بألوان من الحياة الإنسانية الزاخرة بالمعارف الإنسانية والأخلاقيات الرفيعة التي قل أن تجدها في أي مجتمع آخر.

والله ولي التوفيق .

عبد الله بوقس



دست







# وفاء

وقفت في خفر وحياء أمام نافذة غرفتها المطلّة على البحر.. تتابع بعين فاحصة مدققة عقارب الساعة.. ومع دقات كل ثانية يخفق قلبها كالطير.. بينما راح النسيم العليل يداعب خصلات شعرها المتهذلة، وعلى صفحة الماء قارب صيد يتهاذى مع موج البحر الهادى..

وحين قاربت الساعة تشير إلى الثامنة.. أسرعّت إلى المرأة تتأمل نفسها، وتصلح هندامها وتمشط شعرها الذي عبث به النسيم حتى إذا دقت الثامنة تماماً.. راحت تتابع في شوق ولهفة الشاب النحيل الوسيم الذي يسكن في العمارة المواجهة لها أثناء عودته من الجامعة!! مرحى لك يا هشام.. كم أغبطك على هذا الهدوء والوقار!! إن في عينيك رجولة وشهامة.. آه.. كم أتمنى أن يكون شباب بلادي على نمطك!! إنك من معدن نفيس وأصل طيب، ومن بلد تهفو إليها القلوب شوقاً.. ترى هل تحسّ بي يا هشام..؟ متى الأيام تجود علينا باللقاء.. لنعرف بعضنا عن كثر؟.. إنني أحس من أعماق فؤادي أننا متقاربان فكراً وروحاً.. لكم وددت أن أصارحك بما في نفسي وبالحب الكبير الذي أكتّه لك في أعماق قلبي.. ولكنني لا أستطيع.. فلست من ذلك الصنف الرخيص من البنات اللاتي يلذّهن الإطراء والمعاكسة.. وعلى فرض أنني حاولت هذا.. فلن ينالني منك إلا نظرات السخط والازدراء.. إنني لن أنسى ذلك اليوم العاصف الذي لقنت فيه جارتك الحسناء «هيفاء» درساً قاسياً لن تنساه مدى الحياة، حين حاولت بحركتها ودلالها العابث أن تثير اهتمامك.. وكان نصيبها نظرات ملؤها الجفاء.. جعلت المسكينة تتخبّط في مشيتها وتهرع منكشّة إلى سكنها، وهي تحتقر نفسها.. تلعن الساعة التي قابلتك فيها.. أما أنا فكان يوماً حبيباً بالرغم من بشاعته وقسوته وفظاعته.. لقد كان يوم ميلاد حبي الكبير لك..

لقد أعجبني فيك ذلك الصمود أمام الإغراء والفتنة .. وهو ما لم يتوفر في شباب هذا اليوم .. إنني أحس بانجذاب نحوك .. لأنك على شاكليتي .. فما من شاب تعرّض لي إلا وألقمته حجراً حتى بات الكل يخشاني ولا يجروء على مخاطبتي .. وكم سبّب لي هذا من متاعب مع أمي .. إنها تتهمني بالجمود والغفلة والبلاهة .. ولولا ما أشعر به من حنان الأب وحده وتشجيعه لي على السير في هذه الطريق السوية لتعقدت نفسي وتخطمت كل آمالي في الحياة .. كم أنا سعيدة أن أعرّ على شاب نبيل مثلك !! حقاً إن الطيور على شبيهاها تقع !! .. وأعجبها المثل الذي جادت به قريحتها ، فأخذت تضحك ملء فيها بينما راحت أمها ترقب كل حركاتها وسكناتها دون أن تحس بوجودها ، حتى إذا غاب ظل هشام عن عينيها ، ودّعته وعلى مآقيها دمة تدحرجت كحبات اللؤلؤ على صفحة خدها الناصع ..

ورمقتها الأم بنظرة حادة لها معناها ، ثم قالت لها : أهذا هو الشاب الذي ملأ عينيك دون الناس كلها .. ! يالك من فتاة غرة حمقاء !! تحسّين هذا الصنف من الشباب يروق لك .؟!

ما أثقل دمه !! إنه جلف غليظ القلب .. جامد كهدهو الصحراء الذي جاء منها تحسّين أني أوافق عليه لو تقدم يطلب يدك .. ؟! إن هذا من رابع المستحيالات أتظنين أنني بلهاء لأهبك لقمة سائغة لهذا الشاب الغريب المتعجرف ؟! .. ما أشد الفارق بينه وبين أخيه الأكبر !! .. فأخوه مهذب قد أثمرت فيه تربيته الصالحة فأحالته إلى شاب بشوش خفيف الظل سريع البديهة حاضر النكتة .. اسمعي يا بنتي : حذار أن تفكري في هذا الأهوج .. فأنت فتاة رائعة الجمال حلوة .. فحرام أن تعذبي نفسك من أجل إنسان لا يعيرك أي اهتمام ، أو حتى مجرد نظرة عابرة ..

ولم تحتمل «هناء» هذه القسوة من أمها .. وعزّ عليها أن يتحطّم حبا على صخرة كبير ياء وعناد هذه الأم وهي تسمعها الجارح من الكلام اللاذع في حق إنسان وهبتة قلبها وحبا .. فاندفعت إلى غرفتها باكية تندب حظها العاثر وأملها الضائع في هذه الحياة .. واحتجبت أياماً في غرفتها تحبس آلامها في صدرها .. وما درت المسكينة أن

«هشاماً» كان يرقبها من طرف خفي دون أن يجعلها تحس به .. كان يشعر أنها الفتاة التي تروق له، و يلتقط أخبارها من زملائه الذين كانوا يدرسون معها في كلية واحدة وكان يشعر بالفخر والاعتزاز وهو ينصت إلى تعليقات زملائه، وكيف أنها الفتاة العنيدة القوية المحافظة التي أجبرتهم على احترامها؟ .. ولم تدع شاباً يجروء على الاقتراب منها لمعاكستها ..

وبدأ حبها يسري في قلبه وروحه .. وينفذ إلى أعماقه .. وكان يحس بأنها قريبة لقلبه وروحه وكم عزّ عليه أن يفقدها أياماً فلا يراها كعادتها تنتظر أوبته، فيطيل النظر إلى نافذتها، ثم لا تلبث أن تطل عليه الأم متحدية بنظرة قاسية، ثم تقفل في عنف شباك النافذة .. وبقدر حبه «لهناء» .. كان يكره أمها لقسوتها .. وأدرك أن وراء احتجاج فتاة أحلامه .. أمها .. وأخذ يفكر في وسيلة يصل بها إلى الإنسانية التي عذبه حبها .. وشاء حظه الطيب أن تزوره أمه لتقضي معه عطلة الصيف .. ووجدها فرصة طيبة لتوثيق عرى الصداقة بين الأُسرتين .. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ ..! وهو يجهل تقاليد هذا البلد .. وخاصة مع فتاة أحلامه وأسرتها المحافظة .. ولكنه لم ييأس .. ظل يعمل فكره طويلاً ليصل إلى حل سريع .. وبدأ خطواته الأولى .. صارح أمه .. «أُمينة» بحبه لهذه الفتاة ورغبته أن يقترب منها .. إذ لا شيء يعوقه أمام هذا الزواج .. فالليسانس قد ناله بنجاح وتفوق .. وبعد شهور سيتقدم لامتحان القبول للماجستير .. إنه يخشى أن تفلت منه .. أن يزوجها والدها لأول خطيب يتقدم لها .. وستحاول الأم التي تحتقره أن تكره ابنتها على الزواج حتى تتخلص منه وماذا بوسع فتاة مثلها أن تفعل إذا ضيق عليها الخناق؟؟ إنها لا تستطيع أن تعارض .. ستجد نفسها أمام الأمر الواقع ..

لا بد أن أجد الحل السليم لإنهاء هذا العذاب .. وبدأ على محياه مسحة من الألم، ونظرت إليه الأم في حنان بالغ، ووعدهت بأن تنتحل أي عذر لتحقيق ما يريد .. وبات هشام على جمر الغضى .. حاول أن ينام ولكن خيال الحبيبة لا يفارقه ..

وفي الصباح الباكر .. اصطحب معه أمه ليرها معالم البلد وآثارها التاريخية .. وبينما

هما سائران إلى المحطة ليستقلا الحافلة العمومية .. تمت المفاجأة غير المتوقعة إذ أقبلت هناء ووالدها إلى المحطة .. وتلاقت الأعين بعد طول ترقب واشتياق وكان لقاء حاراً يحمل في طياته العتاب .. ووجد هشام الفرصة مواتية .. فأقبل على والد هناء يحبيه .. ثم قدم نفسه إليه وبدأ يوجه له بعض أسئلة عن سير خط الرحلة وكأنه يجهل كل شيء .. وانتهزت الأم الفرصة وأخذت تتجاذب أطراف الحديث مع «هناء» .. وركب الجميع الحافلة واتخذ هشام مكانه بجانب والد «هناء»، ليتيم لوالدته أن تتعرف على الإنسانية التي أسرَتْ لَبَّه .. وقد أعجبت بها الأم .. إنها فتاة مهذبة رقيقة الحاشية محتشمة مثقفة، وهي على جانب عظيم من الجمال لذا دعته لزيارتها بلهفة .. وكان هشام يختلس النظرة إليها بين فينة وأخرى ويستمتع إلى حديثها العذب بكل انسجام وحرص ..

وأفاق هشام من نشوته الحاملة على صوت والد «هناء» وهو يودعه .. وتلاقت الأعين من جديد .. وكان تعبيراً صادقاً ملؤه الحب والرضى ..

وكان هذا اللقاء العابر تأكيداً لحبهما المتأصل في أغوار النفس، وتمنى لو لم تقف الحافلة لتمضي بها إلى دنيا السعادة والخلود .. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .. وذهب كل إلى سبيله مودعاً إياها بنظرات لاهفة مشوقة، وقلب خفاق .. حتى غابت في الزحام ..

والتفت إلى أمه ليعرف رأيها .. وقرأ في عينيها ابتسامة الرضى والقبول .. وسار مع أمه تغمره النشوة والفرح، ولم يترك مكاناً جميلاً أو آثاراً خالدة من معالم هذه المدينة إلا وأطلع عليها أمه .. وعادا إلى شقته الهادئة الأنيقة ليرسم الخطوط العريضة لمستقبله الباسم، وكله أمل وثقة في نجاحه وتحقيق كل ما يتمناه. وأغمض عينيهِ الساهرتين على خيالها الساحر واسترسل في نوم عميق آملاً في لقاء الغد المأمول.

وفي غسق الليل البهيم حيث السكون يخيم على الكون كله .. إذ بالباب يطرق في شدة .. وصحا هشام من نومه مذعوراً .. وراح قلبه يدق في عنف بينما نهضت الأم



وأطرافها ترتعش فرقاً.. وانسل هشام إلى الباب على عجل.. وأبصر موظف التلغراف فوقف مشدوهاً.. وتناول المظروف منه.. وبيد مرتعشة راح يفيض المظروف وغامت الدنيا أمام عينيه.. واقتربت أمه وجسدها يرتجف، وقالت: خيراً يا بني.. أرجوك أن تخبرني.. إن قلبي يحدثني أن أحداً من الأسرة ناله مكروه.. يا إلهي تكلم يا بني!!.. وفي نبرات تنم عن ألم بالغ.. قال:

أبي مريض يا أماه.. وقد نقل إلى المستشفى ويطلب مني الحضور فوراً.. وامصيتاه!.. لطفك يارب..

هيا يا هشام.. رجوتك أن تسرع للحجز لنا على أول طائرة.. وأذهل هشام النبأ المجمع.. وتبخرت أحلامه.. وأمضى باقي الليل يسطر «هناء» رسالة مطولة بثها مكنون فؤاده ولواعج حبه.. وشرح لها ما ألم به من آلام فادحة، ووعدّها بأن يتقدم لخطبتها بعد عودته من بلده.. وسلم الرسالة لبواب عمارتها وهو في طريقه إلى المطار.. وكم كان يودّ إلقاء نظرة عليها وتوديعها.. ولكن الوقت ضيق لا يسمح بالتأخير.. وأمضى هشام شهراً في الوطن العزيز.. حتى تماثل والده للشفاء.. واستأذن للعودة لإكمال دراسته ولم يصدق أن تطأ قدمه أرض الحبيبة حتى أسرع إلى داره وألقى بأمتعته جانباً ومضى إلى الشارع يتابع بعينه نافذتها المطلّة على البحر.. ووجد شخصاً غريباً يطل منها.. وغلى مرّجله غيظه..

ترى من يكون هذا الشاب الغريب..؟! إنه لم ير هذا الوجه من قبل.. أهو منافس جديد في حبي لها.. لا.. إن «هناء» تحبني.. فحال أن تتزوج غيري.. وأسرع إلى بواب العمارة مستفسراً.. وسقط في يده.. لقد غادرت «هناء» البيت من أسرتها إلى حي آخر ولم تترك عنوانها.. وتذكر البواب الرسالة التي حرصت هناء على أن تدسها في يده وهي تغادر البيت ليسلمها لهشام.. وخطف منه الرسالة وأسرع إلى داره ليخلد إلى نفسه مع أول رسالة تصله من حبيب القلب والفؤاد..

وأخذ يقرأ رسالتها.. ويتأمل صورتها الجميلة التي أودعتها باطن الرسالة.. وفهم أن رسالته لم تصل إليها.. وأنها رغم هجرانه لها وهروبه منها.. إلا أنها لن تنساه.. ستظل

وفية لحبه إلى الأبد.. إلا إذا شاءت الأقدار أن تكره مرغمة على الزواج.. وحاول عبثاً أن يهتدي إلى عنوانها الجديد من خلال رسالتها.. ولكنه لم يجد شيئاً.. وعاد إلى العم خليل البواب يستفسر عن مصير رسالته.. وفهم أن والدتها هي التي تسلمتها منه.. ليت شعري.. ماذا فعلت بأمرها حتى تخفي رسالتي عنها؟.. وأخذ يجذ في البحث عنها في كل مكان.. حتى كَلَّت قدماه.. لقد اختفت إلى الأبد.. وأحسّ بامتعاض شديد لم يعد يهناً له نوم أو يروق له طعام. ظل انطوائياً بعيداً عن المجتمع والناس.. ينجي صورتها الحبيبة.. أجل تذكر أهدته إياه..

وعاش في خضم الحياة وأعباء العمل سنوات.. وكان يحرص على أن يقضي إجازته في كل عام في بلد الحبيبة الغالية.. هل الأقدار تجود عليه باللقاء لتكمل سعادته؟ ولكنها لم يعد لها أثر في الوجود.. وحاول الأهل والأصدقاء أن يقنعوه بالزواج مادام في عنفوان الشباب، ولكنه لا يزال يفكر في هناء..

وطالت فترة الانتظار.. وبلغ اليأس حدّه.. ووجدت أمه الحبيبة أن ثمة تقارباً في الشبه بين من أحبّها وابنة عمّه.. الوافدة الجديدة مع عمها الغائب عن الوطن فترة طويلة.. ورآها ولم تصدق عيناه أنها صورة مصغرة من هناء.. ولكنها ليست هي واقتنع أخيراً ورضي بالأمر الواقع.. وتزوج ابنة عمه، وأخلص لها وأحبها بكل جوارحه وأنجب منها طفلين في عمر الزهور.. ملأ حياتها حباً وسعادة..

ومع هذا فلا يزال يحتفظ بصورة هناء في إطارها الذهبي بمكتبته بيته.. وحاولت زوجته بدافع شعور الغيرة والحب.. أن تمرّق يوماً هذه الصورة.. فثار وأزبد وقال: إنها ذكريات الماضي يا أم خلود.. فماذا يضيرك منها؟. إنها مجرد صورة فحسب..

قلت له يوماً وأنا أزوره في داره.. ما سر احتفاظك يا صديقي العزيز بهذه الصورة؟ أقصد صورة «هناء» ألا تزال تعيش في ذكريات الماضي البعيد؟. أما كان الأجدر أن تحل مكانها «خلود» ثمرة حبك وفلذة كبدك؟ قال: إنه الوفاء يا صديقي وأثر في جوابه الهادئ المعبر.. وأدرك ما يجول بخاطري فأردف قائلاً:

لا تعجب يا عزيزي .. إن «هناء» قد ظهرت على مسرح الحياة من جديد ..  
حين كنت أفضي إجازتي مع الأسرة في بلدها في العام الماضي .. تصور أنها لم تتزوج  
بعد فقد كان عندها بقية من أمل .. فآثرت الانتظار .. وحين عرفت بزواجي ..  
جاءت إلينا تبارك زواجنا وحبنا وتضم أبنائي إلى صدرها في حنان بالغ ..!  
أليس هذا منتهى الوفاء ..؟  
قلت : إنه لعمر الله .. نعم الوفاء ..





الزينة السعيدة





## النهاية السعيدة

ولد « هشام » في أسرة فقيرة، ورغم قسوة الحياة وحاجة أبيه لمساعدته في مهنته الفنية إلا أنه أتيح له أن ينال نصيبه الوافي من التعليم .. كان يدرس بالنهار ويساعد أباه في عمله بعد الظهر حتى إذا آذنت الشمس للغروب تأبط كتبه الدراسية إلى المسجد الحرام حيث يلتقي بالرفقة من أصدقائه وزملائه في الدراسة ليذاكر معهم .. فقد كان المسجد الحرام آنذاك المكان الوحيد الذي تتوفر فيه الكهرباء والإضاءة القوية .. أما البيوت السكنية فكانت تستعمل في الإضاءة الغاز الصناعي وكان الحرم المكي أشبه بخليقة نخل يضم كل العناصر والفئات، وفي فضائه الرحب مجمع لحلقات الدروس . وقد توسط كل حلقة إمام أو فقيه أو عالم لغوي أو أديب دراسات في شتى ألوان العلوم والفنون والفقه والدين .. وعشاق هذه الحلقات من طلاب العلم كثيرون، وأمزجتهم مختلفة . الكل يختار ما يرغبه وهواه، والحرية مطلقة لطالب العلم يختار ما يلائمه ويناسب مداركه وميوله، كالطائر الطليق يتنقل من غصن إلى غصن ومن شجرة لأخرى، وتضيق الحلقات وتتسع بقدر ما يتمتع به إمام الحلقة من سعة في الأفق وغزارة في العلم وقدرة على الإقناع واستمالة للنفوس والأفئدة .

بينما نرى أروقة المسجد وقد انتشر فيها طلاب المدارس زرافات ووحداناً في صورة مجموعات لاتقلّ عن اثنين ولا تزيد عن ثلاثة . وأفضل مكان في هذه الأروقة الأركان والزوايا، للهدوء الذي يخيم عليها بحكم بعدها عن ضوضاء المارين والعابرين وخاصة في أوقات الظهيرة وقبل الأصيل .. أما في الليل فالتسابق على أشده بين الطلاب في اختيار المكان المناسب الذي يتوفر فيه الضوء في الأراضي الرحبة تحت السماء الصافية بجانب أعمدة الإضاءة وخاصة في موسم الصيف .. والمنظر الغريب الذي تراه تلك الأوجه المختلفة في طرق أداء المذاكرة، فطلاب لا تحلو لهم مذاكرة

الدروس إلا وهم سائرون يذرعون الأروقة جيئةً، وذهاباً، وآخرون وقفوا تحت الأعمدة يستظهرون ما عليهم من دروس واثنان جلسا يسمع أحدهما إلى الآخر، وأفراد آثروا الوحدة والانطواء على أنفسهم يذاكرون دروسهم في صمت، وكان «هشام» من هذا الصنف الأخير لإيمانه العميق بأن هذه الطريقة أجدى وأسرع في المذاكرة والتحصيل، إنها ذكريات الماضي البعيدة، أما اليوم فالأمر يختلف كلية بعد أن تطورت أم القرى قبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبحت مدينة حديثة تتوفر فيها كل أسباب الحياة الهائلة المتمثلة في عمراتها المتطور الذي امتد إلى الأودية والشعاب، وفي شوارعها الجميلة التي ازدانت بثرات الكهرباء والأزهار العبقرة والأشجار الظليلة، حتى الحرم المكي قد تغيرت كثير من معالمه فاتسعت ساحته بعد المشروع الجليل الذي جتدت له الدولة كل إمكانياتها ليكون أضخم وأجل مسجد على وجه الأرض باعتباره قبلة العالم الإسلامي. وأصبح طالب اليوم يجد كل شيء ميسر له في مدرسته التي يدرس بها، وفي داره التي يسكن فيها.. وفي مجتمعه الذي يعيش فيه.. إنها ستة الحياة المتطورة، و يقظة ورعاية أولى الأمر في بلادنا..

ظل «هشام» يكافح ويناضل بعزيمة لا تعرف الكلل وإرادة لا تقهر، معتمداً على ساعده يشد من أزره والده وإخوانه الكبار الذين يعملون في أماكن بعيدة من أجل لقمة العيش. واستطاع أن يحرز تقدماً كبيراً ملموساً في دراسته متفوقاً على أقرانه في جميع المراحل الدراسية حتى أنهى المرحلة الثانوية. وكان من أوائل الطلاب المبرزين. مما جعل اسمه في القائمة الأولى من المرشحين للابتعاث خارج المملكة.. وتردد في بداية الأمر، هل يكمل دراسته الجامعية؟.. أم يبقى بجانب والده المسن وإخوته الصغار؟ إنه متعطش للعلم والرغبة في الاستزادة منه، ولكن لمن يترك أسرته هل يرسل في طلب أخيه الأكبر الذي يعيش في قرية نائية بإحدى الدوائر الحكومية؟ أم كيف يتصرف؟! أدرك والده الحيرة القائلة التي يعيش فيها ابنه، ورأى بأنه من الظلم أن يميت فيه الطموح والرغبة في مواصلة التعليم، فبارك البعثة الدراسية لابنه بعد أن طمأنه بأنه لا يزال قادراً على العمل وأن إخوته الكبار لا يألون جهداً لمساعدته..

وكان هذا القرار «لهشام» مفاجأة سارة له.. فأسرع يحزم حقائبه وأكمل

إجراءات سفره ليلحق بركب زملائه في البعثة الدراسية . إنها أول بعثة حكومية تضم أضخم عدد من المبتعثين للتخصص في شتى العلوم والفنون .. واستطاع هشام بما أوتي من ذكاء حاد وتعطش للعلم والمعرفة أن يحرز تقدماً ملموساً في دراسته الجامعية ، واختار من زملاء بعثته صديق طفولته (سمير) ليشاركه مسكنه وحياته المعيشية للتقارب الكبير الذي يجمع بينهما في الطباع والعادات والتفكير .. كانا يدرسان بكلية واحدة ويذاكران معاً لا يراهما الناس إلا متلازمين كالظل لا يفارق أحدهما الآخر ، وكان هذا التآلف الذي جمع بين قلوبهما صمام الأمان لهما ، وحماية لهما من مفسدات المدينة حتى تشبها بالتاسكين ووضعاً نصب أعينها الجد والاجتهاد والتفرغ الكامل للدراسة حتى يعودا ظافرين منتصرين إلى وطنها الحبيب لينتظما في سلك العاملين المخلصين لبلادهم وأمتهم ، وتحقق لهما ما أرادا ..

إلا أن طبيعة الحياة العملية فرقّت بينهما ، ومع هذا ظل كل منهما وفياً للآخر . وحين يلتقيان يتجاذبان أطراف الحديث ويبحث كل منهما الآخر أدق أسرارها الخاصة .. واستطاع «هشام» أن يوفر لأسرته الحياة الهانئة بما أنعم الله عليه من مركز مرموق وسعة في الرزق . واستطاع أن يحقق لإخوانه الصغار الرعاية الكاملة ويمنحهم حبه وعطفه الكبير حتى كبروا ، وأتاح لهم أن يواصلوا تعليمهم في الخارج فكان بحق الابن البار بوالديه وأسرته ، وحاولت أمه الحنون بعد أن رأت أحب أبنائها إلى نفسها يخطو إلى الخامسة والثلاثين من عمره أن يكمل نصف دينه .. ولكنه كإنسان متعلم مثقف كان يؤمن بأن الزواج رباط مقدس وضرورة من ضرورات الحياة ، ولكنه لم يكن مقتنعاً بالطرق العتيقة التي اعتاد عليها في تزويج بناته .. ولهذا رفض كل عرض تقدمت به أمه أو والده أو أهله فالزواج في نظره مسؤولية كبرى . فإذا لم يكن قائماً على أساس قوي ، تقوضت معالم الأسرة وانقلبت إلى جحيم لا يطاق .. والمبادئ التي تقوم عليها كيان بناء الأسرة الزوجية ، ومن رأيه أن يعرف الكثير عمن يختارها شريكة لحياته ، أخلاقها .. ثقافتها .. طباعها .. مستوى ما تتمتع به من جمال .. وأهم من هذا كله أن تكون من بنات وطنه ، لإيمانه بأنها أقدر على التكيف بالحياة والوضع الاجتماعي من أية امرأة أخرى .. وأجهد نفسه في البحث وعزّ عليه أن يرى أقرانه من

زملائه، وقد تهيأت لهم حياة زوجية هائلة. وأحس بفداحة العبء وخشي أن يفوته ركب القطار لو طالت فترة الانتظار، وسعى المحبّون من أصدقائه الأوفياء وفي مقدمتهم سمير إلى نجدة ومساعدته.. وأخيراً وجد هشام ضالته المنشودة. إنها فتاة من مواطنيه تعيش في بلد عربي على قدر طيب من العلم والثقافة وحسن التربية، وبدأ يتحسس أخبار هذه الفتاة من معارف هذه الأسرة التي أطنبت في مديحها، ولم يستطع صبراً، فتقدم يطلب إجازة إدارية، وطار على الفور إلى البلدة التي تعيش فيها هذه الفتاة مع أسرته. وأتيح له رؤية الفتاة وأعجبه جمالها وما تتمتع به من ذكاء وسرعة في البديهة... إلا أنها صغيرة والفارق في السن كبير بينهما، ورغم أنه معروف بأناقته ودقته والترث في الأمور إلا أنه لم يحتمل الانتظار بعد أن شعر بميل وحب كبيرين نحوها. ورأى في فارق السن ميزة كبرى تجعله يخضعها لإرادته، ووجدت أسرة الفتاة أن في هذا الزواج كسباً كبيراً لها لما يتمتع به «هشام» من سمعة طيبة في عمله وخلقه والمستقبل الباسم الذي ينتظره، أما الفتاة فلم تكن راضية به فهو ليس فارس الأحلام الذي كانت تفكر فيه، فهو يكبرها بخمسة عشر عاماً وهي تريد شاباً في مثل سنّها وصارحت أمها بما يرسم في نفسها، واثارت الأم وأزبدت واعتبرته خروجاً عن التقاليد وأحلاماً زائفة لفتاة غضة. وأجبرتها على الصمت وعدم الاعتراض وإلا أذاقتها مر الهوان. وكنمت الفتاة حسرتها وغيظها وتظاهرت بالقبول حتى لا ينالها سخط أمها وغضبها. وتركز بغضها «لهشام» ومقتها له.. وفي ركب حافل زفّت «آمال» إلى «هشام». وحاولت الفتاة أن تقنع نفسها بالأمر الواقع لتعيش حياة سعيدة هائلة مع من اختارته أسرته لها ولكن هشام حاول أن يستعرض عضلاته أمام الفتاة الصغيرة ليخضعها لإرادته وسيرها وفق المخطط الذي رسمه لحياته، ولم يكن يعلم بما كانت تنطوي عليه نفسية فتاته من بغض وكراهية له، وإلا كان اختط لنفسه سياسة أخرى تجاهها ليحبها إلى نفسه ويزيل منها شعور الكراهية والبغضاء، وشعرت «آمال» بخيبة أمل وتركزت عقدتها النفسية تجاه زوجها أكثر من أي وقت مضى وأكسبتها صلابة وعناداً. فبدأ التنافر بينهما على أشده منذ الأسبوع الأول لزوجهما وانقلبت حياتهما إلى أتراح.. وشقاق.. ونزاع، وحاول الأهل والأصدقاء إزالة سوء التفاهم بينهما. وكانت الأم تعمل كل ما في وسعها للضغط على «آمال» وتنصح «هشام»

بالتريث ومعاملة زوجته بالكياسة واللين واستطاعت إلى حد كبير أن تفلح في إعادة الهدوء والطمأنينة بينهما، ولكنها كانت هدنة مؤقتة وعادا إلى الوطن الحبيب، وشعرت آمال بالفارق الكبير بين الحياة التي كانت تعيش بها بالخارج مع أسرته وحياتها الجديدة في بلادها. وعملت ما في وسعها على التكيف بحياتها الجديدة، ولكن العقدة الراسخة في اللاشعور تجاه زوجها لا تزال كامنة تطل عليها من حين لآخر فتحيل حياتها جحيماً، وأدرك هشام أن زوجته لا تكن له أي شعور بالحب، فلا يكاد يبدي رأياً إلا وتسفهه، ولا يشتري شيئاً إلا وأظهرت له شتى معاييه، وإن اختارها هدية في مناسبة ما، لم تعجبها وألقت بها عرض الحائط ضمن المهملات. وحاول أن يستعين بأمها البعيدة عنها لزجرها وإعادتها إلى صوابها. فإذا بها تتهمه بالبخل وتطلب منه أن يغدق على ابنتها بالمال لترضى، أو بالمجوهرات الثمينة ليكسب حبها. ولم تعجبه هذه الطريقة الاستغلالية في كسب حب زوجته له، فاستحالت حياته إلى شقاء وعذاب لكثرة المشاحنات بينه وبين زوجته حتى أصبحت على كل لسان، وبدأ يعاملها بالمثل. وظل الاثنان على طرفي نقيض وانقلبت حياتهما شقاء دائماً، وأثر ذلك في حياته العملية فلم يعد الموظف المنتج في عمله الهادئ الصبور الحكيم. وعاش في جحيم هذه الحياة العسة أربع سنوات متتابعة حتى بلغ بها السيل الزبى. وسافرت آمال لزيارة أهلها خارج المملكة ورغم أن الإجازة التي سمح بها زوجها لا تتجاوز شهراً إلا أنها مدتها ثلاثة أشهر، ولم يحاول أن يطلب منها العودة فقد أحس أنها عبء ثقيل ضخم، وهي بدورها أحست بالراحة في كنف أسرته، وحاولت الأم أن تعيد الحياة إلى مجارها بين الزوجين المتنافرين ولكن دون جدوى فكلاهما مصمم على التخلص من هذه الحياة اليائسة، وأراد «سمير» الصديق الوفي وزوجته أن يقوموا بدور حمامة السلام بين الزوجين المتباغضين، ولكن طفع الكيل وكان الانفصال بينهما الراحة النفسية الكبرى لهما.

وفي جو ودي بين أسرة «آمال» و«هشام» تم الطلاق، وتنفس الزوجان الصعداء وبدأ «هشام» يكرس حياته لعمله ويولي كل جهده وعنايته ليعوض ما فاتة.. ولكنه لم يلبث أن وجد فتاة أحلامه في جارتة الحساء التي تربطها بأهله

أواصر صلات ودية عميقة، وقامت أمه الحنون بدور الوساطة في هذا الزواج، وتحقق «لهشام» ما كان يتمناه في حياته.. إذ توفرت في الزوجة الجديدة كل الصفات والخصال الحميدة التي كان يصبو إليها، وأحس أنها الفتاة التي كان يجد في البحث عنها.. وخيم على البيت الصفاء والحب الكبير المتبادل والحنان والتآلف والتعاطف. ورزق منها بطفلة أسماها «صفاء».

وكانت النهاية السعيدة.. بعد حياة الشقاء الدائم..



# خردی جی







## خد عني بحبها

« ماري » فتاة لعوب جمعت إلى فتنة الجمال وروعة المظهر حدة الذكاء وسعة الاطلاع وحب المغامرة.. كانت تتخير ضحايا حبها من بين طلاب الجامعات رواد المكتبات. حيث يقصد الطلبة لتحضير بحوثهم العلمية فيها من ذخائر كتبها وموسوعات الثمينة النادرة. وقد رأت « ماري » اللعوب أن تكون مقامرتها هذه المرة مكتبة الجامعة التي ينتسب إليها الطالب الجامعي «إحسان» بعد أن عرفت أنه يملك سيارة فاخرة تدل على أنه من أبناء الأثرياء فاتخذت مكانها بجانبه في هدوء وراحت تنقب وتبحث في الكتب التي أمامها على المنضدة وكأنها تعد بحثاً علمياً، بينما أرسلت شعرها الذهبي على كتفها في غير ترتيب أو نظام، إمعاناً في الإغراء والفتنة. ولم يشعر بها «إحسان» فقد كان منهمكاً في قراءة بعض مراجع بحثه وخطر له أن يسجل بعض النقاط الهامة، التي مرّ عليها قبل أن تضع من ذاكرته وتحسّس جيبه ليلتقط قلمه فلم يجده، وكانت منه التفاتة لمن يجاوره ليستعير منه قلماً. وقع نظره على « ماري » فشعر بارتباك. فقد كانت غاية في الفتنة والجمال.. كيف يجروء على مخاطبتها وهو الشاب الحيي الخجول المتدين المستقيم في خلقه وسلوكه وفضل الصمت ومواصلة القراءة حتى لا تظن الفتاة أنه من هواة المعاكسة كما يفعل بعض الشباب، خاصة وجو المكتبة يسوده صمت مطبق، وأتت حركة منه قد تسبب إزعاجاً لهواة القراءة والاطلاع لا.. لا.. لا داعي لمحدثتها وأخذ يتابع القراءة وأدركت « ماري » حرجه فدفعت إليه بقلمها الفضي فالتقطه «إحسان» وأوماً إليها برأسه تعبيراً عن شكره وتقديره.. وبدأ يسجل في مفكرته ما كان يخزن في ذاكرته من أفكار، وتجمد القلم في يده، وأحس ببرودة تسري في مفاصله وشعور غريب ينساب إلى أغوار نفسه.. إنها المرة الأولى التي يشعر فيها بمثل هذا الإحساس الغريب رغم إقامته في هذا البلد أكثر من ثلاث سنوات.. ليت

شعري أهو إحساس بالحب أم مجرد إعجاب عابر؟ لقد صادفني الكثير من بنات حواء في غدوّي ورواحي، وفي الكلية التي أدرس بها وفي كل مكان ذهبت إليه غير أنني لم أعبأ بهن لقد كن مجرد صور كنتك التي أراها على شاشة السينما أو التلفزيون ولكنني أحس بجاذبية مغناطيسية تشدني إلى هذه الفتاة التي أراها لأول مرة وشرد به الخيال إلى الانسنة التي سوف تشاركه حياته ومستقبل أيامه .. وأيّة صفات يجب أن تتوفر فيها الجمال .. التعليم .. الثقافة .. الإخلاص .. الوفاء .. الأخلاق .. الرعاية المنزلية .. وتذكر ذلك اليوم الذي عرضت فيه والدته أن تزوجه بعد تخرجه من المرحلة الثانوية، من إنسانة يجهل كل شيء عنها، مجرد أوصاف من أمه أو أخته، فالتقاليد تأبى أن تسمح له برؤية فتاة أحلامه رغم ما تكلفه مثل هذه المغامرة من إرهاق مادي في المهر وفي تكاليف حفلات الزواج .. وقد تروق له الفتاة فيعيش معها سعيداً راضياً بحياته وقد لا تعجبه فيعيش معها في تعاسة طيلة عمره .. ووجد في مواصلة تعليمه الجامعي مخرجاً للاعتذار لوالدته وتأجيل موضوع الزواج لحين عودته حتى لا يعوقه عن دراسته .. وأحس بأنه قد شط به الخيال فعاد يفكر في هذه الخلجات النفسية الدخيلة التي سيطرت عليه .. ترى هل أوقعته هذه الفتاة في شرك حبها لمجرد النظرة الأولى إليها وقلمها الفضفي الرقيق الذي أعادته لي؟ ومن هذه الفتاة حتى أشحذ كل فكري وخيالي فيها وأنا لا أعرف شيئاً عنها؟ ورفع رأسه ليتابع قراءته في البحث العلمي المتمتع الذي أمامه لكن سرعان ما وقع نظره على الفتاة التي سحرت فؤاده فألفاها بالباب تستعد للخروج حاملة حقيبتها وكتبها. وتذكر أن قلمها معه فأسرع يجمع كتبه وانطلق يعدو خلفها ليعيد إليها القلم ولحق بها عند منعطف الشارع ولكنه لا يعرف اسمها فاقترب منها حتى أصبح بمحاذاتها ..

إحسان : أظنك نسيت القلم الذي أعرتيني إياه؟!

ماريا : « أوه » شكراً يا عزيزي للطفك .

إحسان : بل شكراً لكم يا آنسة .

ماريا : « ماريا » .. اسمي الذي أدعى به دائماً .

إحسان : آسف شكراً يا آنسة « ماريا » .. وإن شئت دعوتني « إحسان » .

ماريا : ( في استغراب ) «إحسان» اسم غريب حقاً أكاد أسمعه لأول مرة في هذا البلد .

إحسان : بالطبع مثل هذه الأسماء نادرة هنا .

ماريا : إذاً فأنت غريب عن هذا البلد .. أليس كذلك ؟

إحسان : بلى أنا عربي .

ماريا : « تشرفنا » يبدو أن بيننا تقارباً كبيراً .

إحسان : ( في دهشة ) عجباً وأي تقارب تعنين أأست من هذا البلد ؟

ماريا : نعم ، أنا طالبة وغريبة مثلك ولكن ما أعنيه بالتقارب شيء آخر .

إحسان : ( في دهشة ) إذاً فأنت إسبانية إن صح حدسي .

ماريا : تماماً كما ذكرت .

إحسان : و يبدو أن فيك دماً عربياً كما يبدو ذلك في ملامحك !

ماريا : مدهش .. ما أشد ذكاءك يا «إحسان» !! ولكن لا غرابة في هذا فأنتم

العرب تتمتعون بذكاء حاد وأجسادكم الخالدة في بلادي دليل عظمتمكم

وذكائكم الخارق ولكن قل لي كيف عرفت أنني أنحدر من سلالة

عربية ؟

إحسان : مجرد تخمين لما أعنيته بالتقارب ثم هذا الإطراء لأجسادنا العربية الذي

أسمعه منك لأول مرة .

ماريا : أنا سعيدة لأن في سلالتنا دماً عربياً وإن كنت لا أفهم شيئاً من لغتكم .

إحسان : ولكن لغتكم لا تخلو من بعض الألفاظ العربية كما سمعت .

ماريا : هذا صحيح والفضل يرجع لفتوحاتكم العربية الإسلامية .

إحسان : أنا سعيد بهذا اللقاء ورب صدقة خير من ألف ميعاد .. فهل تسمحين لي

بالانصراف .

ماريا : « أوه » .. لقد تذكرت .

إحسان : ماذا ؟

ماريا : الساعة الآن تشير إلى الساعة مساء .

إحسان : أخالك تعنين حلول ميعاد العشاء .

ماريا : « تضحك » بالضبط وأرجو أن نلتقي ثانية .. إلى اللقاء .  
إحسان : إلى اللقاء .

ويعني « إحسان » إلى بيته وقد ازداد حباً وإعجاباً بهذه الفتاة التي ملكت عليه لبه، وسيطرت على كل حواسه بحديثها العذب الشهي، ويعجب كيف أوتي كل هذه الشجاعة والجرأة لمجاراتها في الحديث وهو الذي لم يتعود مثل هذه المواقف الحرجة . ولكنها المناسبة السعيدة الحلوة، ويسرح في دنيا الأحلام من جديد ولكن خيال « ماريا » لا يفارقه فقد استحوذت على أفكاره ومشاعره . إنها الفتاة التي يخفق لها قلبه للمرة الأولى فهل تبادله نفس الشعور والحب ؟ .. هل هي الفتاة التي تصلح شريكة لحياته ؟ هل يمكن أن تكون ربة بيت ممتازة كبنات وطنه تضع منزلها في المقام الأول ؟ .. هل يمكن أن تقوم بحسن تربية أبنائه وحسن تنشئتهم ؟ ! إنها كأجنبية قد ورثت تقاليد وعادات قد لا يستسيغها كعربي مسلم فهل تتخلى عنها ؟ أيمن أن تخلص في حبه وتحافظ على كرامته وشرفه ؟ هل يكون لزوجها أثر في سير دراستها ولم يبق على نيل البكالوريوس غير شهور قلائل ؟ هل يستشير أسرته وأصدقائه قبل أن يبت في زواجه منها ؟ هل يصارحها بكل شيء حتى لا يصدمها ويخدعها ؟ .. ثم أخيراً هل تقبل الزواج منه فيما لو عرض عليها ذلك ؟ ! أسئلة لا حصر لها تزاхمت وتواردت على خاطره وهو حائر لا يدري ما يفعل ..

إنه يخشى أن يثقل عليها بأسئلته فتضيق بها وتنسل هاربة من حياته وتتركه صريع حبها وهواها، ويطيل التفكير ويتعمق فيه وتتجاذبه نوازع الشر والخير بين شهوته الجائعة التي تزين له تضليل فتاته وخداعها حتى لا تغفلت من يده .. ونوازع الخير الكامنة في نفسه كشاب مسلم قوي الإيمان سليم الطوية تأبى عليه أن يضل فتاة مسكينة قد تثق به ثم تطعن بخدعته فتدوس على كرامته وشرفه فيفقد كل شيء .. وحاول أن يسدل ستاراً كثيفاً على هذه المشكلة التي جدت عليه وتمنى لو لم تُسفه الأقدار إلى مكتبة الجامعة هذا اليوم، وأرهقه التفكير فحاول أن ينام ولكن خيال « ماريا » ماثل أمامه ير يده أن يستقر على رأي، ويطلق لأحلامه العنان ليجد الكرى

الطريق إلى عينيه المجهدتين المتعبتين، ولكن قلب الحب العاشق الوهان لا ينام. ويشد الصراع بين عقله وقلبه.. فالتفاوت كبير بينهما في العادات والتقاليد، وفي طريقة الحياة وهو يريد أن يتوج هذا الحب برباط مقدس حتى تتحقق له السعادة الزوجية ولكن عقله الواعي يشده إلى التأنّي والحكمة والتفكير في العاقبة. وقلبه الوله يقربه إليها وهو حائر كالتائه في البیداء، لم يعد يرى متعة في القراءة والدرس، أولذة في الطعام والشراب يمضي نهاره كليله يعيش في جحيم الحب ويرى في الوحدة والبعد عن الناس راحة نفسية، وانقطع عن دراسته أياماً ليخلو إلى نفسه بعيداً عن الأضواء والتجمع علّه ينساها. وجزع «خالد» أعز أصدقائه وأمين سرّه لغياب صديقه العزيز. ترى ماذا حدث لأخي «إحسان»؟! فعهدي به ألا يتأخر عن درسه! لابد أنه مريض، لشد ما أنا مقصر في حقّه ويتوجه على الفور لزيارة صديقه ويطرق باب غرفته بعد أن عرف من ربة الدار التي يسكن فيها أنه ملازم بها، ولم يرحها. ولما لم يجده يرد عليه فتح الباب في رفق ووجد صديقه على مكتبه ساهماً شارد الفكر، ويداه على خديه وعلى قسمات وجهه إعياء ظاهر كمن حلت به كارثة. يا إلهي ماذا أصاب صديقي؟! واقترب منه.

**خالد :** إحسان . إحسان . ماذا بك يا صديقي؟! أراك شاحب الوجه تائه الفكر!. أهنالك أخبار سيئة تلقيتها من الأهل لا قدر الله؟!  
**إحسان :** هاه . «خالد»! مرحباً بك يا صديقي العزيز.  
**خالد :** أخبرني ماذا حدث؟! فإنني أراك تعاني آلاماً قاسية وقد أزعجتني بانقطاعك عن الدراسة!!

**إحسان :** لقد جئت يا صديقي في وقتك المناسب فما أشد حاجتي إليك الآن!  
**خالد :** أنا دوماً يا عزيزي في خدمتك وما جئت إلا لهذا الغرض .  
**إحسان :** ما عهدتك إلا شهماً نبيلاً ووفياً لأصدقائك .

**خالد :** شكراً لتقديرك . خبرني بالله ماذا حدث؟  
**إحسان :** اطمئن يا عزيزي فالأهل جميعاً بخير، ولكنني أعاني أزمة نفسية حادة .

**خالد :** إذا كانت الأزمة منشؤها حاجتك إلى المال فالأمر سهل فكل ما أملكه أضعه بين يديك وتحت تصرفك .

**إحسان :** أشكرك ، لو كان هذا سر أزمتي لما صرت بهذه الحال التي أنا فيها .

**خالد :** هل لك أن تفصح لي عن مشكلتك الحقيقية حتى أساعدك ؟

**إحسان :** لقد وقعت في الحب يا عزيزي !!!

**خالد :** ( يضحك ) حب! هل أنت جاد فيما تقول ؟ أكاد لا أصدق !!

**إحسان :** بالله لا تهزأ يا صديقي ، فإني قد وقعت في شرك الحب فعلاً وهذا سبب أزمتي .

**خالد :** ومن يا ترى هذه السعيدة التي نصبت شباكها حولك وكانت بارعة في صنيك ؟

**إحسان :** عدنا إلى المزاح والسخرية من جديد ، أعتقد أنه من الأفضل ألا أصارحك بالحقيقة .

**خالد :** آسف يا عزيزي وها أنذا أصغي إليك بكل جوارحي .

و يروي إحسان لصديقه الوفي قصته مع فتاته الشقراء، ولكنه لا يصرح له باسمها وكيف استطاعت أن تتسلل إلى قلبه وتستحوذ على مشاعره حتى أصبحت كل شيء بالنسبة له، وهو لا يستطيع أن يضحى بهذا الحب بعد أن تمكن في قلبه ورسخ فيه ، وأنه قرر أن يفتحها بالزواج حتى يريح نفسه من الآلام التي يكابدها ليبدأ حياة جديدة في دنيا عامرة بالحب .. ويدهش خالد لما سمعه فهو لم يتصور أن إحساناً من النوع الذي ينقاد ببساطة لمثل هذا التفكير الساذج فعنده به قوي الشكيمة ، يزن الأمور في دقة بحكمة وتعقل وله من قوة إيمانه ومثانة خلقه ما يجعله بمنأى عن التورط في مثل هذه الأمور . فالزواج بالأجنبيات قد ثبت فشله وكم من فتى عربي قد خدع ببريق الحب وربط حياته بالزواج ولكنه ما أن يعود إلى مسقط رأسه حتى يرتطم هذا الحب بسياج التقاليد وما جُبلَ عليه العربي المسلم من حفاظ على طبائعه وعاداته وتمسك بدينه وخلقته ويبدأ الشقاق بينهما، فهي بحكم تربيته وتقاليدها لا يمكنها أن تتكيف بالمجتمع العربي الإسلامي من أول وهلة، فلا بد من مجاراتها ومسايرتها حتى تتعود على أساليب

الحياة تدريجياً وهو لا يستطيع الصبر والانتظار، وإلا أصبح مضغة في أفواه الناس وسلطت عليه أضواء الانتقاد من كل جانب وألسنة الناس حادة لا ترحم، وتبدأ هذه الخلافات تتسع وتزول غشاوة الحب ويتم الانفصال وهذا ما يخشى أن يقع فيه أوفى أصدقائه وأحبههم إلى نفسه. وأطرق مفكراً يستعرض الشقراوات الجميلات علّه يستدل على هذه الإنسانية التي حطمت نفسية صديقه وجعلته يعيش في عذاب الحب وسئم خالد من صمت صديقه فبادره قائلاً:

**إحسان :** عسى أن تكون قد توصلت لحل إيجابي لإنهاء عذابي.

**خالد :** إن مشكلتك تحيرني يا صديقي فهل لي أن أعرف اسمها؟

**إحسان :** ليس الآن يا عزيزي قبل أن أعرفك عليها وستعرف أنني على حق لما تمتاز به من خلق كريم وجمال فاتن وحب للعرب.

**خالد :** ماذا تقول .. حب للعرب فتاة شقراء (آه) لقد عرفتها !! إنها ماري اللعوب.

**إحسان :** هاه .. ماري !! إنه اسم من أحببت فعلاً ولكنها محال أن تكون لعوباً لابد أنك تعني إنسانة أخرى طائشة.

**خالد :** أنا واثق من أنها هي، فطالما خدعت أناساً قبلك بجديتها المعسول عن العرب وأمجادهم. إن قصتها مع (سنان) أحد أبناء البلاد العربية على كل لسان. خدعته بحبها لتستغله مادياً فلما أفلس نبذته لتبحث عن ضحية أخرى.

**إحسان :** أكاد لا أصدق ما تقول.

**خالد :** إن شئت أريتك إياها الليلة على طبيعتها في إحدى الملاهي فقد علمت من «سنان» أنها وجدت ضحية جديدة.

**إحسان :** ولكني لا أحب ارتياد الملاهي وأنت تعرف هذا.

**خالد :** وأنا مثلك يا عزيزي أكره شيء إلى نفسي أن أغشى هذه الأماكن، ولكنني أريدك أن تقطع الشك باليقين.

**إحسان :** اتفقنا.



وفي المساء يذهب كل من خالد وإحسان إلى الملهى الذي أرشدهما إليه سنان ..  
وهناك يرى إحسان ما رى ذات الشعر الأصفر الذهبى على حقيقتها مع ضحيتها المكدوع  
فى موقف مثير يأباه خلقه الكرم ودينه القوم، وتجافيه تقاليدہ، فتزول عن عينيه غشاوة  
الحب الخادع ويشعر بأنه ولد من جديد، وترتفع روحه المعنوية وتعود إليه بشاشته  
وحيويته، ويشد على يد صديقه المنقذ وفى عينيه ابتسامة الرضى والتقدير والعرفان  
بالجميل، فلولاه لأصبح واحداً من هؤلاء الضحايا .. وقبل أن يغادر الملهى يلقي نظرة  
أخيرة على الإنسانية التي عذبتة وغشته وخدعته، ولم تعد تستحق حبه واحترامه وتقديره  
ليقول لها وداعاً يا حبي الخادع .. ويصمم على السير قدماً فيما رسمه وخططه لحياته  
ومستقبله وهو أشد إيماناً من أي وقت مضى ويدرك أن الحب الحقيقي كنز ثمين لا  
يودعه الله إلا فى القلوب المؤمنة الكبيرة الحساسة وإن الشرق شرق والغرب غرب ولن  
يلتقيا .



قِسْمَةُ وَجْزِ



# قسوة وعذاب

ولد حسين في بيت علم .. فأبوه كان قاضياً شرعياً رباه فأحسن تربيته، وكان يحكم تربيته المثلى المنزلية مثلاً حياً ونموذجاً طيباً للشباب .. يلقي كل تقدير واحترام من أساتذته بالمدرسة .. وأمله الكبير بعد نجاحه في الكفاءة أن يواصل تعليمه الثانوي فالجامعي ليشارك في خدمة أمته وبلاده مع من سبقه في العمر من الشباب والشيوخ .. بيد أن القدر لم يمهله لينعم بحياته الهائلة السعيدة في كنف والده الحبيب إذا اختطفَت المتية والده وهو في أول المرحلة الثانوية، ولم يترك والده له ولأمه وإخوته الصغار سوى ذلك البيت الذي يسكنه مع أسرته وراتب التقاعد . إلا أن الأعباء الضخمة لأسرته الكبيرة حالت بينه وبين إكمال تعليمه فهجر الدراسة وهو يشعر بغصة وألم ليؤدي واجبه نحو أسرته، وحاولت والدته الحنون أن تثنيه عن عزمه ليواصل تعليمه وأسرته على استعداد لكي تعيش على راتب أبيه الضئيل ولكنه رفض في إباء وشمم آملاً في أن يهيء لهذه الأسرة المكافحة حياة كريمة، فانخرط في سلك وظيفة إدارية بإحدى الوزارات على أمل أن يواصل كفاحه في التعليم في مدرسة ليلية ثانوية، ولكن عبء العمل الوظيفي عاقه عن متابعة دراسته واستمر يواصل الكفاح آملاً في ازدياد راتبه .. وبفضل تشجيع رؤسائه وتقديرهم لعمله أخذ يشق طريقه في الحياة العملية وتهيأت له فرصة سانحة ليقضي عاماً كاملاً في منحة دراسية تتعلق بمهام عمله في إحدى البلاد العربية، ووجدها فرصة سانحة وصحب أسرته معه واستطاع في خلال هذه المدة أن يحصل على شهادتين في مجال اختصاص عمله منحة الترقية إلى المرتبة السادسة التي يتوق إليها، وأحسّت والدة الحنون أن كفاح ابنها لا بد أن يتوج بفرحة العمر التي تسعى إليها كل أم وهي الزواج، وعرضت عليه أن تزوجه (سامية) ابنة الجيران فهي فتاة مثالية نادرة وعظيمة في أخلاقها كريمة في طباعها . غير أن «حسين» أبى أن

يربط نفسه بالزواج وهو لا يزال في سن العشرين .. فقد كان يعتقد أن من واجبه رعاية أسرته حتى يهيء لإخوته تعليماً يكفل لهم حياة رغيدة طيبة .. ثم إنه من أشد الناس إيماناً واقتناعاً بفكرة الزواج من بيئته وعشيرته وتجد الأم الفرصة سانحة لمناقشته .. قائلة :

**الأم :** الزواج في بلادنا يحتاج إلى تبعات كثيرة وراتبك وكل ما تملك لا يكفي .  
**حسين :** ولكنني أحب وطني وعشيرتي ، وفتاة بلادي أقدر على تحمل أعباء الحياة حلوها ومرها من أية امرأة في العالم .

**الأم :** ولكن ( سامية ) فتاة مؤدبة وفيها كل صفات المرأة المثالية وأنا واثقة من هذا .

**حسين :** أنا لا أشك في هذا ولكن اختلاف البيئة له أثره ، فهي إن تحملت الحياة معنا عاماً فقد لا تتحملها العمر كله .

**الأم :** هذا تشاؤم يا بني « فسلوى » زوجة ابن عمك من هذا البلد ، وما رأيها يوماً تشكو من حياتها ، فهي سعيدة هنيئة في حياتها مع زوجها .

**حسين :** سلوى سيدة مثالية نادرة ثم إن ظروف ابن عمي تختلف عن ظروفه فهو موسر وعلى استعداد أن يهيء لها كل عام رحلة إلى بلدها لتزور أهلها .. أما أنا فكما ترين ظروفني المادية لا تحقق لها ذلك .

**الأم :** الزوجة العاقلة يا بني من تقدر ظروف زوجها ( وسامية ) فتاة عاقلة ذكية .

**حسين :** أرجوك يا أمي أن تسدلي ستاراً كثيفاً على هذا الموضوع فإني مازلت في مقتبل العمر وأمامي فرص كبيرة لتهيئة حياة أحسن .

**الأم :** ولكن هذه الفرص قد لا تتحقق لك في بلادنا .. فأنت تريد أن ترى بعينيك من سوف تشاركك حياتك وتقاليدنا لا تسمح بهذا .

**حسين :** أنت على حق يا أماء ولكن ظروف الحياة لا تبقى على وتيرة واحدة وسوف يأتي الوقت الذي يدرك فيه الأب أن من واجبه كأب يحرص على سعادة ابنته أن يهيء لمن يريد أن يتقدم لخطبتها أن يراها بعينه .

**الأم :** ولو تحقق لك هذا فإن تكاليف الحياة الزوجية مرهقة فالغلاء الفاحش في

المهور، والصرف الباهظ على حفلات الزواج، كل هذا لا تقوى عليه حالتك المادية.

**حسين :** نحن الذين ابتدعنا كل هذا، وآباؤنا وشبابنا مسؤولون عن كل هذا، فلو رفض كل أب وشاب أن يقيم مثل هذه الحفلات لما تحمّل الاثنان الديون الفادحة ولما كان هناك داع للغلو في المهر.

**الأم :** هذا تفاؤل حسن منك يا بني، ولكن هذه التقاليد من الصعب محوها من أذهان الناس.

**حسين :** ولكنها تقاليد بالية فقليل من الحكمة مع العزم والتصميم كفيل بإزالة كل هذا.

**الأم :** لقد أفحمني منطقك يا بني، وأرجو أن تتحقق لك كل هذه الآمال إنك حر فيما تقرره نحو شريكة حياتك فهذا شيء يخصك وحدك.

**حسين :** أنت أم مثالية ومثلك في هذه الحياة نادر.

**الأم :** الفضل يرجع لأبيك رحمة الله عليه فهو الذي علمني كل هذا.

وعاد حسين إلى الوطن الحبيب لينتظم في سلك العاملين في الإدارة التي يعمل بها ووجد تقديراً من رؤسائه، وحصل على ما كان يؤمله من ترقية، وكان يسبغ على أسرته كل رعايته.. فأتاح لأخيه الذي يصغره بعامين أن يواصل تعليمه الجامعي في أوروبا ويشجع أخته «هدى» وأخاه الأصغر «هشام» على الاستمرار في دراستهما، ورغم حاجته إلى إنسانة تشاركه حياته إلا أنه آثر الانتظار حتى يتخرج أخوه «محسن» من الجامعة ويشق إخوته طريقهم في درب الحياة الطويل بسواعدهم دون حاجة إليه، وألحت عليه أمه الحنون بعد أن رأت بوادر الشيب تغزو بعض شعرات رأسه وهو لم يزل في عنفوان الشباب ولم تنتظر جوابه، فبدأت تسعى للبحث عن فتاة تليق به ولكن مساعيها باءت بالفشل أمام الصخرة العاتية من التقاليد فهذه الأسرة تريد شاباً ثرياً يغدق عليهم العطايا والهبات، وأخرى تريد مهراً خيالياً لتواجه به تكاليف الحياة الزوجية.

وهي حائرة لا تدري ما تفعل، إنها تشعر بالآلام المرضية تزداد عليها يوماً بعد آخر، وهي تريد أن ترى ابنها البار سعيداً بحياته ولكن المجتمع قاس لا يرحم .. والزمن لم يتغير .. آه .. ما أشد عنادك يا بني لو استمعت إلى نصحي في الزواج من « سامية » لأرحمتني من كل هذا العذاب !! ولكن ماذا يفيد الكلام في هذا وقد فات الأوان؟! وتحس بأنها قد صدمت في تحقيق أعز أمنية لها وتشتد عليها الأزمة القلبية التي تعاودها، ويسرع « حسين » إلى الطبيب والألم يحز في نفسه، ولكنه ما أن يصل إلى الدار حتى يجدها على وشك النزاع الأخير .. ويصارحه الطبيب بأنه لا جدوى من العلاج فصدمتها النفسية كانت أقوى من أن يتحملها قلبها الواهي ويقترب منها وفي عينه دموع ساخنة على أعز ما يملكه في هذه الحياة التي ضحت بزهرة شبابها من أجله وإخوته، لتقوم على خدمتهم وحسن تربيتهم ويمسك بيدها المرتعشة ليقبلها ويبللها بدموعه الغزيرة، وتنظر إليه الأم في حنان وعطف وبصوت خافت تخالطه حشجة الموت تدعوه لتحقيق أمله في العثور على الإنسانية التي تحقق له الحياة السعيدة، وقبل أن تلقى رها توصيه بإخوته خيراً وتنظر في حنان إلى أحب أبنائها إليها لتكتحل عينها برؤيته .

وكم كانت الصدمة قاسية على « حسين » .. فقد كانت أمه الدرع الواقى التي صانت كيان هذا البيت بعد وفاة أبيه، مما جعله يخلص في عمله ويوليه عنايته . وزاد من آلامه هذا الحزن القاتم الذي يخيم على البيت كله، وأحس في قرارة نفسه أنه سبب هذه الإزمة كلها .. فلولا مسألة زواجه لما فارقت أمه الحياة، ومحادث نفسه في ألم وحيرة: ولكنني لست المسؤول وحدي على آلامها إنه المجتمع القاسي الظالم الذي قضى عليها بتقاليده العتيقة البالية . وينتابه الحزن فيبكي في حرقه وألم وإخوته من حوله يشاركونه عذابه وآلامه .

ولكنه ما أن يفيق من هول الصدمة حتى يدرك أنه قد تجاوز حدود الله .. فالموت حق على جميع العباد « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت » سبحانه إنها إرادتك فاغفر لي وساعني واعف عني إنك غفور رحيم .

و يصمم على الإخلاص لأسرته بعد أن حملته أمه الحنون أمانتها، ويأبى أن يزعم

أخاه «محسن» بخبر موت أمه حتى لا يؤثر ذلك على سير دراسته ويضعف في حبه وحنانه لأخته «هدى» وأخيه الأصغر «هشام»، ويغدق عليها كل حنانه وعطفه ليعوضهما ما فقدوه من حنان الأم ورعاية الأب.. ولكن هل استطاع «حسين» أن يتحمل هذه المسؤولية الكبرى تجاه أسرته أمام أعباء الحياة ومشاكلها؟ لقد حاول الصمود كثيراً. ولكن الحمل ثقيل والمسؤولية جسيمة ف«هدى» وأخوها «هشام» في المدرسة يواصلان دراستهما في جد واجتهاد فهل يحرم أخته من نعمة التعليم ليسخرها لخدمته، — وأخيه الصغير — بعد أن كبرت ونمت؟ ولكنها لاتزال صغيرة وليس بإمكانها أن تقوم بأعباء الأسرة وهي في سن الثانية عشرة من عمرها!!! إن حرمانها من التعليم ظلم لها فلا بد أن تواصل تعليمها، فشباب اليوم لا يريد إلا الفتاة المتعلمة المثقفة، التي تستطيع أن تفهمه وتشاركه حياته العامة والخاصة عن إدراك ومعرفة، وتحسن تربية أطفالها وتهذيبهم وتثقيفهم، فهو إن حرماها من التعليم فقد يقضي على سعادتها الزوجية. وأطرق يفكر ملياً يبحث عن حل وسط يخفف عنه قسوة الحياة التي يعيشها وبدأ يفكر جدياً في الزواج بعد أن شعر بوطأة الحياة وقسوتها.. ولكن هل أجد الزوجة المثالية التي تشاركني الحياة وتحمل معي آلامها وقسوتها؟! إنني لا أستطيع أن أعيش بعيداً عن شقيقتي وأخي الأصغر، إنها أمانة في عنقي.. فهل ترضى من أختارها شريكة لحياتي بالعيش معنا في منزل واحد؟ وإذا حدث خلاف بين أسرتي وزوجتي فاذا يكون موقفى؟ هل أضحي بزوجتي أو أسرتي؟ وكلاهما صعب ومر!! وتراكمت عليه هموم الحياة من كل جانب. إنه يريد أن يبت في الأمر، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. يريد أن يصل إلى نتيجة مرضية تريحه من عذابه وآلامه.

و يدخل عليه صديقه (سلمان) وزميله في العمل ولكن (حسين) لا يحس بوجوده فقد كان غارقاً في تأملاته ساجماً في أفكاره وخيالاته والواسعة فيفاجئه بقوله:

**سلمان:** لِمَ كل هذا الإغراق في التفكير والسرхан؟. إن الدنيا بخير يا عزيزي فاذا حدث؟ لقد تغيرت أحوالك كثيراً!!

**حسين:** إن من في مثل حالي يا صديقي لا يستغرب منه هذا.



**سلمان :** أنت تعرف أنني أعز أصدقائك ولا خير في صديق إذا لم يصارح صديقه بمشاكله و يشاركه في آلامه .

**حسين :** إنني أعاني هذه الآلام منذ موت أمي رحمها الله ، وقد مضى على ذلك أكثر من ثلاث سنوات كما تعلم .

**سلمان :** أعرف هذا يا صديقي وأعتقد أن حل المشكلة في يدك .

**حسين :** لو كان في يدي لانتهى الأمر . وهذا ما يشغلني و يقلقني .

**سلمان :** الزواج يا صديقي في رأيي فيه نهاية لعذابك وقلقك .

**حسين :** هذا ما فكرت فيه فعلاً ولكن أين أجد الزوجة التي يمكن أن تشاركني ما أنا فيه من قسوة وعذاب ؟!

**سلمان :** ليس في الوجود امرأة تتحمل قسوة الحياة وآلامها كفتيات بلادنا .

**حسين :** هذا صحيح ولولا ما أشعر به من حياء وخجل نحوك يا صديقي لطلبت منك المساعدة والعون .

**سلمان :** لو كنت أقدر على تحقيق هذا الطلب لَمَا تأخرت عنك لحظة .

**حسين :** هل لي أن أطلب يد أختك يا صديقي ؟ ولكن هل تسمح لي برؤيتها ؟ وما رأي والدك ؟ هل يقبلني زوجاً لابنته ؟

**سلمان :** لا أعتقد أن والدي يرفض طلبك فهو دائم الثناء عليك .. أما الرؤية فإنها من المحال فوالدي كما تعهده صعب المراس ، فلا تزال التقاليد راسخة في ذهنه ولكنني قد أقدم لك نصف الحل .

**حسين :** وما هو يا صديقي ؟

**سلمان :** لدي صورة فوتوغرافية حديثة لها و يسعدني أن أقدمها لك الآن فإن راقت لك . عرضت عليها الأمر لأخذ موافقتها .

**حسين :** أشكرك يا صديقي على هذا الوفاء وأرجو أن تعطيني مهلة للتفكير .

**سلمان :** هذا من حقلك يا صديقي وأنا في انتظار ردك العاجل .

ورغم أن أنصاف الحلول لا ترضي «حسين» لأنه يؤمن بضرورة رؤية من تشاركه حياته و يعجب لهؤلاء الناس الذين لا يزالون يتمسكون بتقاليد لا يحكمها

منطق أو يرضى بها عقل واع متفتح .. ولكنه يحس براحة نفسية نحو هذه الأسرة التي يعرف الشيء الكثير عنها لصلته الوثيقة بصديقه الوفي (سلمان) .. ويمضي إلى البيت فرحاً متلهل الوجه يطيل النظر لصورة زوجة المستقبل . إنها تبدو جميلة وحلوة وتوفر فيها كل صفات الأنوثة الكاملة وهو واثق من أخلاقها وحسن تربيتها ، ويصارع شقيقته هدى بما أزعج عليه ولم تشأ شقيقته أن تبث مخاوفها من هذا الزواج لأنها تدرك أن العيش مع زوجة أخيها قد يحرمها جزءاً كبيراً من حب أخيها وعطائه وحنانه ، وقد يحدث ما يعكر الصفو بينهما لأقل سبب ، فیدب الخلاف والشقاق ، ويستحيل جو البيت الهادي إلى عذاب وشقاء . ولكنها في نفس الوقت تريد سعادة أخيها بعد هذا الحرمان الطويل والعذاب النفسي الذي يعانيه من الوحدة القاسية ومتاعب الحياة المنزلية ، ثم إنها على معرفة قليلة بهذه الفتاة التي اختارها لتكون شريكة حياته ، فهي تدرس معها في مدرسة واحدة في فصل دراسي أعلى منها . ثم إنها من الفتيات المثاليات في مدرستها ، وهي على جانب كبير من الجمال فتقنع نفسها بالأمر الواقع ، وتبارك لأخيها هذا الزواج وتطري على جمالها وحسن أدبها ومتانة أخلاقها وغزارة علمها وثقافتها .. ويشعر «حسين» بميل شديد لهذه الفتاة ، فتغمره السعادة والبهجة ويحس بإشراق الحياة وبهجتها ، يزايله ما كان يشعر به من آلام الوحدة وقسوتها ، ويتقدم لأبيها لخطبتها ، ورغم إحساس الفتاة بأن هذا الزواج قد يحرمها مواصلة تعليمها إلا أنها وجدت فيه فتى أحلامها المناسب ، حيث تتوفر فيه كل صفات الشباب والحيوية التي تطمح إليها كل فتاة . وكان يوم زفافها من الأيام الخالدة التي لا تنسى أبداً .. وهل هناك أعظم فرحة من يوم الزفاف خاصة إذا وجد التقارب والتفاهم والحب بين الزوجين ؟

وتسير الحياة بين الزوجين كأجل ما تكون الحياة الزوجية من سعادة وأمن وحب قرابة عام كامل ، وتعود إلى «حسين» حيويته ونضارته ويستعيد ما فقدته من ثقة رؤسائه أيام بؤسه وشقائه .. وتمتئ من قرارة نفسه لو تحققت له هذه الحياة السعيدة والاستقرار النفسي منذ وفاة والدته ، وندم على هذه السنوات التي أمضاها كئيلاً حزين النفس والفؤاد .

ولكن مالي وللماضي فإني لا أزال في مقتبل العمر ، ليت أمني على قيد الحياة

لتشاركنا سعادتنا وهجتنا.. ولم يدر «حسين» المسكين ما تخبئه له الأيام المقبلة من مفاجآت.. فالدنيا لا تدوم بهجتها ولا تؤمن فجعتها فزوجته الصابرة رغم كفاحها المرير من أجل إسعاد «هدى» وتهيئة الجو المناسب لها لمذاكرتها وإعفائها من أعباء حياة المنزل الثقيلة، إلا أنها لا تضمر لها إلا الكراهية والحقد بعد شهور من زواجها. فهي دائماً تناصبها العداء وتتعالى عليها.. فإن فأت عليها الدراسة يوماً لاستغراقها في النوم وعدم إيقاظها؛ راحت تهمها بأنها تتعمد هذا حتى تحرمها من التعليم لتصبح مثلها في مستواها العلمي الذي وقفت عنده، وتعيش حبيسة الدار لا هم لها إلا خدمة بيتها، وهي تريد أن تواصل تعليمها حتى الجامعة ودائماً تشعرها بأنها قد حرمتها من حب وعطف أخيها عليها حتى أصبحت لا تراه إلا نادراً يلقي عليها التحية ولا شيء غيرها، لم يعد يعطف عليها ويدللها أو يسألها ما تعلمته في دراستها كعهدها به... فكل حبه وعطفه وحنانه لزوجته وحدها.

وتحبس (هند) زوجة «حسين» آلامها في صدرها وتشيح بوجهها عنها؛ فهي تدرك أن «هدى» مصابة بعقدة نفسية، وكثيراً ما نصحت زوجها بأن يغدق على «هدى» حبه وعطفه.. ولكنه يجيبها بأن شقيقته لم تعد طفلة حتى يمعن في تدليلها. وتصمت (هند) المسكينة وتواجه غرور الأخت وحقدّها الدفين ونكدها المستمر في صبر وثبات، فهي تحب زوجها ولا تريد أن تعكر عليه صفو حياته وسعادته بعد أن لمست مدى حبه وإخلاصه لها.. ولكن للصبر حدود وللنفس الإنسانية طاقة تقف عندها، وقد فاض الألم (بهند) يوماً ولم تعد تتحمل ضراوة «هدى» ومضايقاتها، ولم تجد وسيلة غير البكاء علّه يخفف عنها مأساتها، ويدخل عليها زوجها الطيب ويتألم لما أصاب زوجته.. ترى ماذا أصاب زوجتي الحبيبة؟ و يقترب منها.

**حسين :** هند.. هند.. ماذا دهاك يا عزيزتي؟ هل هناك ما يزعجك في البيت؟

أم أن مكروهاً حل بعزير عليك لا قدر الله؟

**هند :** لا شيء يا عزيزي إنني أندب حظي في هذه الأسرة..

**حسين :** لا بد أن «هدى» هي السبب لقد قابلتها عند الباب وأشاحت بوجهها

عتي وأدركت أن شيئاً ما حدث بينك وبينها فهلاًّ خبرتيني بالحقيقة؟  
**هند** : حاولت يا حسين شهوراً طويلة أن أكسب صداقتها وجها ولكنها تقابل  
إحساني بالإساءة دائماً حتى هددتني اليوم بالطرد من المنزل .  
**حسين** : هذا مستحيل فأنت ربة البيت وسيدته الأولى .. يالها من فتاة حقاء  
سأعلمها درساً لن تنساه طيلة حياتها .

**هند** : هون عليك يا زوجي العزيز فهدى تعاني صدمة نفسية وهي في حاجة إلى  
حبك وعطفك وأفضل حل أن أعود إلى بيت أبي فترة لترتاح أعصابي  
وتهدأ نفسي .

**حسين** : هذا كلام لا يعقل أبداً فقد ضحيت من أجلها بالكثير ولن أسمع لها أن  
تحيل حياتي من جديد إلى شقاء .. سأعلمها كيف تحترمك وتقدر  
تضحيتك من أجلها .

**هند** : أرجوك يا حسين ألاّ تسيء إليها حتى لا تحطم نفسيها .. إنها مغرورة.  
فبالحسنى والتفاهم يتم كل شيء وقد تعود المياه إلى مجاريها .

ولكن حسين لا يرد عليها فهو يعلم أن زوجته الحبيبة إنسانة مهذبة عاقلة لم يجد  
منها إلا الحب والعطف والحنان والرعاية الكاملة لأسرتها .. واتجه إلى غرفة شقيقته  
والشرر يقدح في عينيه ولكنه لم يجدها، وبخبره هشام أنها قد ذهبت إلى المدرسة هذا  
المساء لحضور حفلة مدرسية، ويصارحه بأن «هدى» هي سبب كل المآسي وكم  
نصحها ولكنها لم تعبأ به وتسخر منه .. يالها من فتاة غرة إنها تريد أن تهدم سعادتي  
وحياتي، إنها تريد أن تحطم كيان أسرتنا بعد أن أنعم الله علينا بنعمة الحياة والحب  
من جديد .. لا .. لا .. لن أتركها سأجعلها حبيسة هذه الدار وهذا أبلغ درس لها  
لتعود إلى صوابها، ويشدد مرجل غيظه ويطرق مفكراً في الوسيلة التي يعامل بها أخته .  
ويشعر «حسين» بحركة عند الباب ويطرق خفيف لابد أنها قد حضرت ويجري  
«هشام» ليفتح الباب فيمسك به «حسين» دعها لي يا بني سأفتح لها الباب بنفسي  
حتى أشفي غليلي وأحطم غرورها لقد جاءت في الوقت المناسب .. وما أن يفتح  
الباب حتى تصدمه المفاجأة المذهلة لقد كانت «هدى» محمولة على الأعناق بين

الحياة والموت إذ صدمتها سيارة أمام البيت حين عودتها و يتناسى «حسين» حقه على «هدى» و يطبع على جبينها قبلة كلها حنان والدموع تملأ مآقيه .. وتفتح «هدى» عينيها بصعوبة وتحاول الكلام لتقول لأخيها الحبيب سامحني يا أخي الحبيب لقد نلت جزائي .. إن زوجتك ملاك وبقدر ما أسأت إليها أحسنت إلي .. رجوتك أن تبلغها بالصفح عني ليرتاح ضميري . وتغمض «هدى» عينيها إلى الأبد بعد أن صعدت روحها الطاهرة إلى السماء .

فاللهم رحمتك بهذا الشاب المسكين الذي عاش حياة كلها قسوة وعذاب .



# الوداع الأخير





## الوداع الأخير

في جنح الليل البهيج، وتحت ستار الظلام الكثيف ألقت بثمرة خطيئتها على قارعة الطريق، بعد أن دست بين ثنايا لفات الشاش الذي خاطت بها ورقة صغيرة كتب عليها ساعني يارب فإني غريبة عن هذه الديار، وساعني يا إلهي لما ارتكبتة من إثم في حق فلذة كبدي بعد أن يئست من إقناع الجاني الآثم الذي غرّبي، ثم تركني وولّى الأدبار هارباً خوفاً من الفضيحة والعار.. واختفت الأم بعد أن ودعته وفي عينها دمة متحجرة وفي نفسها ثورة عاتية وحقد دفين على الرجل الذي استغل ضعفها وتركها نهياً للهواجس، ضحية الندم لتصبح طريدة في هذه الحياة.. وآلت على نفسها أن تسير في طريق العيش الشريف لتكفر عن جرميتها لعلّ الله يغفر ذنبها.. وباتت ليلة ليلاء، تعاني مرارة الحرمان وشدة الألم النفسي، وما أن أشرق الصباح حتى وجدت نفسها تجرّها قدماها إلى حيث تركت وليدها الصغير، ولكنه اختفى وانسابت الدموع من عينها مدراراً، ورفعت يديها إلى السماء: يارب إنه بريء من كل ذنب فكن به رحيماً وامنحه حبك ولطفك وحنانك.

ثم دلفت راجعة إلى الغرفة المتواضعة التي كانت تسكنها لتبحث من جديد عن عمل شريف تقتات به لتقي نفسها شرّ الذئاب النهمّة.

أما وليدها بعد أن تركته ظل مستكيناً في لفّته حتى لفحته نسمة البرد وعضه الجوع فراح يبكي فالطفل لا يملك غير البكاء ليعبر به عن شعوره، وصادف أن كان الشيخ عبد الحليل إمام مسجد الحي ماراً بهذه الطريق ليؤذن لصلاة الفجر، وسمع بكاء الطفل فأسرع إليه وسقط في يده. إنه طفل صغير. «لا أحد بجانبه يرعاه» وتلفت يمينه ويسرة فلم يجد أحداً فحوّل وبسمل، ثم حمل الطفل بين ذراعيه محتضناً إياه



وقفل راجعاً إلى منزله ليكون في رعاية أسرته حتى الصباح ليبلغ عمدة الحي عنه .

وبعد أن أدى صلاة الصبح في المسجد أخذ يعظ الناس كعادته لما فيه خيرهم ثم قص عليهم قصة الطفل المسكين وكان في أحد أركان المسجد رجل يستمع إلى القصة من حذافيرها فتحركت مشاعره الإنسانية وبدافع غريزة الأبوة التي حرم منها ما يقرب من خمس سنوات مع زوجته التي منحته حبها وحنانها، تقدم إلى إمام المسجد فحياه، وقال له: يا شيخ عبد الجليل رب صدقة خير من ألف ميعاد. أنت تعرف أنني في شوق جارف إلى الخلف، وقد عملت المستحيل من أجل الإنجاب وطرقت باب أكثر من طبيب حتى ضاقت بزواجتي السبل ذرعاً، وخيرتني في أن أطلقها لأتزوج بغيرها لعلّي أوفق في إنجاب طفل يملأ حياتي ويرثني من بعدي، ولكنني أحب زوجتي!! إنها مثال للطهر والعفاف والخلق الحسن!! ومحال أن أجدها مثيلاً في هذه الحياة. وحياتنا لو سارت على هذا المنوال قد تتحطم على صخرة العقم الذي أصاب زوجتي. وهاأنذا أجد باب الأمل يفتح لي على مصراعيه ليعيد إشراق الحياة وسعادتها بيني وبين شريكة حياتي، وقد استمعت إلى قصة الطفل كلها، وأنا على استعداد لتربيته كابن لي فأين هو؟ وانفجرت أسرارير الشيخ عبد الجليل عن ابتسامة مفعمة بالفرح والأمل . وقال: ما أعجب مصادفات القدر إنها حكمته الإلهية سبحانه إنه على كل شيء قدير!! سيكون لك الطفل بعد أن نتم ما يلزم له من الإجراءات الرسمية، وثق أن الله سوف يجزل لك الثواب. انتظرنني في البيت وسأحمله إليك بنفسي قبيل الظهر.

وودّع الثري «صالح» الإمام وأسرع الخطو إلى داره متلهل الوجه يملأ قلبه الفرح والسعادة، وأحسّت الزوجة الحزينة الفؤاد حين استقبلت زوجها بالباب أن زوجها تغمره السعادة والبهجة على خلاف عادته وساورها القلق النفسي. ترى ما سرّ هذه السعادة المفاجئة؟ أهى صفقة تجارية رابحة كسبها أم إنسانة أخرى تريد انتزاعه مني؟ وطبع الزوج السعيد على وجنتيها قبة حانية.. ثم قال لها: لقد انتهى الأمر وحلّت عقدتنا. مبروك يا حبيبتي فقد رزقنا بولد. وارتسمت على شفتي زوجته ابتسامة حزينة وظنّت أن زوجها لابد وأن اقترن بغيرها دون أن يشعرها حتى لايجرح كرامتها وخفضت رأسها واسترسلت تبكي وتشهق. ونظر إليها الزوج في غرابة وأدرك

ما يجول بخاطرهما من أفكار، ولم يتمالك نفسه فأرسل ضحكة عالية وكانت صدمة عنيفة لها إذ تخيلت أنه يستهزئ بها فأغمي عليها.. وتألم لما أصاب زوجته فحاول أن يسري عنها حتى إذا ما أفاقت من الإغماء وجدت نفسها بين ذراعي زوجها ينظر إليها في حنو وعطف وحب، وقال لها: ليتني أخبرتك بحقيقة الأمر حتى لا تنزعجي اطمئني فلن تكون إنسانة في حياتي سواك وما قصدت إلا إدخال السرور إلى قلبك، فالطفل الجديد هدية الأقدار التي منحت لي هذا الصباح، ليكون لنا ابن يملأ علينا البيت حباً وسعادة وتهللت أسارير الزوجة الوقية وطلبت من زوجها الصفح والمغفرة لسوء ظنها به، وعادت إلى البيت الحزين نبضات الحياة من جديد، واستقبلت المولود الجديد بحفاوة وترحاب وأطلق عليه اسم «خالد» تيمناً باسم أبيه.. وهكذا قدر لـ «خالد» أن يعيش في كنف هذه الأسرة المترفة معزراً مكرماً، وأن يجد كل الرعاية والحنان والعطف. وأنعم الله على هذه الأسرة الوادعة بالرزق الواسع والخير الوفير.. وتوثقت عرى الحب والمودة بين الزوجين بأشد مما كانت عليه في السابق، وتفاءلا خيراً بهذا الطفل وكان شغلها الشاغل. إذا بكى أسرعت إليه الأم لتحمله بين ذراعيها في حنان بالغ. وإن أملت به وعكة بسيطة سهر الاثنان بجانبه، وأحضرا له أمهر الأطباء لعلاجها، وأشار عليها بضرورة وجود مربية ترضع الطفل وتعنى به وعارضت الزوجة في بداية الأمر وقالت: إنه ابني وسأسهر على راحته وعنايته، ولكن عدم إقبال الطفل على الرضاعة الصناعية جعلها تخضع للأمر الواقع وبدأ البحث عن مربية وهنا تتدخل الأقدار من جديد لإنقاذ هذا الطفل المسكين مما أصابه من هزال واعتلال في صحته، فأمه الحقيقية شاء لها حظها العاثر أن تعمل كخادمة لدى صديق عزيز للثري «صالح» فرشحها لتكون مربية لهذا الطفل وقال له: ما رأيك في «زهرة»؟ إنها امرأة غريبة عن بلادنا لا أهل لها ولا وطن مات طفلها الرضيع منذ عام، وهي خير من يقوم بإرضاع طفلك. واستبشر «صالح» خيراً بهذا النبأ، ووافق على أن تكون هذه السيدة الغريبة مرضعة لهذا الطفل لعله يشفى ويسترد صحته. ولم تدر الأم المسكينة أن القدر قد استجاب لدعائها لتعيش مع طفلها الذي ظنت أنها قد فقدته إلى الأبد.. وأحسّت بشعور غريب بمجاذبية نحو هذا الطفل، ولم تكن تفكر بأنها أمام ابنها الحقيقي لأن مخدومها أفهمها أن أم هذا الطفل قد نصحتها الأطباء بعدم إرضاعه. وحدث الله على

أن الله قد عوضها بطفل آخر في عمر ابنها الذي فقدته، فأخلصت في خدمته وتربيته وأقبل عليها الطفل واستكان إليها وبدأت صحته في تحسن مستمر. وسرّ الوالدان بالمربية «زهرة» وأجزلًا لها العطاء وبدأ «خالد» ينمو، يكبر ويشد عوده وتحسن صحته، يجد الرعاية والحنان في كنف هذه الأسرة الطيبة حتى أصبح في سن التعليم، فألحقه والده بمدرسة ممتازة ولم يدخر وسعاً في الإشراف على تعليمه وتهذيبه، وتميّز «خالد» على أقرانه في الفصل الذي كان يدرس فيه بما وهبه الله من ذكاء فطري وقاد. فكان الأول دائماً واستمر يواصل تعليمه في جميع مراحل التعليم في همّة ونشاط حتى أنهى مرحلة الشهادة الثانوية العامة ونجح فيها بتفوق، وكانت فرحة كبرى للوالدين «زهرة» وأقام له والده وليمة ضخمة دعا إليها زملاءه وأعضاء أسرة مدرسته والأصدقاء.. وجاءت اللحظة الحاسمة. إذ أن ما حصل عليه «خالد» من درجات علمية تؤهله أن يسافر في بعثه دراسية إلى الخارج. وكان «خالد» تواقاً إلى العلم والمعرفة ومواصلة تعليمه الجامعي. وجزع الوالدان لهذا النبأ فد «خالد» قد أصبح بالنسبة إليهما كل شيء في هذه الحياة.. فهل يستطيعان فراقه؟ إنه سيرحل إلى بلد بعيد. فمن الذي يعتني به؟ وفكراً في أن يبقى بجانبها ليدربه والده على التجارة حتى يدير شؤون محلاته التجارية ولكن هذا القرار قد يكون صدمة عنيفة لـ «خالد» وصارحه بما كان يعتلج في نفسه من رغبة في إبقائه بجانبه، وأحس «خالد» بامتعاض شديد وظهرت على محياه مسحة من الحزن والألم فانهالت الدموع من عينيه لأن هذا معناه ضياع أمله في تحقيق ما تصبو إليه نفسه من علم.. وأدرك الوالد أن هذا القرار معناه القضاء على «خالد» وقال له: يا بني ليعلم الله أنني لا أريد لك إلا كل الخير، وما اعتراضي على هذه الرحلة إلا خوفاً من أن ينالك مكروه وأنت بعيد عتاً لا أحد يرعاك وأخشى أن يجرفك تيار المدينة في هذا العالم الغريب فتتساق في حياتهم وتجارهم في عاداتهم وطباعهم، وفي هذا ضياع لكل ما بذلناه في تربيتك وحسن تنشئتك، وتأثر «خالد» مما سمعه وقال له: كن مطمئناً أيها الوالد العزيز فإن التربية الإسلامية التي قد نشأت عليها في بيتنا وفي مدارسنا وفي بلادنا ستكون لنا درعاً قوية تحمينا من كل مفاسد الحياة هناك، وشباب بلادنا ممن سبقوني في هذا المجال أثبتوا للعالم أجمع أنهم خير أمة.. وأن بريق الحياة الزائف لم يستطع أن يحطم ما ورثوه من تقاليد، وتربية

فاضلة فعادوا إلى بلادهم وهم أشد إيماناً بوطنهم وحرماً عواناً على كل مقلد لحياة المدنية الزائفة، بعد أن عاشوا تجربتها الدامية وقاسوا مرارتها. وشعر الوالد بارتياح عميق لحديث ابنه وقال له: على بركة الله يا بني والله يحدوك برعايته وعنايته، وطبع «خالد» على وجنتي والده قبلة حارة وراح يزف بشرى موافقة أبيه لكل من صادفه، والدته الحنونة، مربيته الوقية «زهرة»، أقرانه الأوفياء.

وفي مساء اليوم التالي كان الوالدان يتجاذبان أطراف الحديث في شرفة دارهما الجميلة المطلّة على البحر يستعرضان الماضي الجميل في دنيا حياتهما وكيف ساقَت الأقدار إليهما الابن الوفي خالد؟ ودار الحوار التالي بينهما:

**صالح :** (يخاطب زوجته) كم أنا سعيد يا سلمى بحياتنا.

**سلمى :** البركة في «خالد» يا زوجي العزيز إنه سرّ هذه السعادة كلها.

**صالح :** إنني أشعر من أعماق فؤادي بأن خالداً أصبح فتى يافعاً وكم أنا فخور به. ترى ماذا كان يحدث له لو لم ترسلني الأقدار إلى صلاة الفجر لأستمع إلى قصته الحزينة من الشيخ عبد الجليل..

وصادف سوء حظ أمه الحقيقية «زهرة» إذ كانت في هذه اللحظة قادمة إلى الشرفة تحمل صينية الشاي لتقديمها لهما.. وصافح سمعها المقطع الأخير من حديث صالح فتسمرت في مكانها ودعاها حب الاستطلاع أن تعرف باقي القصة فتوالت خلف الستار وقلبها يخفق كالطير المذبوح..

**سلمى :** بالله دعنا من هذا يا أبا «خالد» ولا تذكرني به «فخالد» قد أصبح الآن ابننا ولا أحد يعرف قصته سوانا إلا الشيخ عبد الجليل.. ولكن قل لي كيف تصبر على فراقه طيلة دراسته في الخارج، أكاد أشعر بغصة في حلقي وأحس بالاختناق منذ أن صمم خالد على إكمال دراسته ولا أدري كيف تكون حالنا بعد فراقه؟

**صالح :** تشجعي يا «سلمى» إن ابننا «خالد» مثال حي للشباب المتمسك بخلقه ودينه.

**سلمى :** طبعاً هذا بفضل تربيتك له يا أبا خالد.

**صالح :** وأنت أيضاً يا «سلمى» لقد أحسنت تنشئته وتربيته .  
**سلمى :** الله يرعاه ويحفظه ويعيده إلينا سالماً غانماً .

وأقبلت «زهرة» تحمل صينية الشاي وقدمتها لسلمى ثم عادت مهرولة إلى غرفتها تفكر فيما سمعته عن قصة «خالد» ترى هل «خالد» ابني إن نفسي تحدثني أنه ضناي، انه فلذة كبدي منذ أن وطئت قدماي عتبة هذا البيت . وأخذت تبكي في حرقة وألم إنها تريد أن تعرف سر «خالد» ولكنها لا تجرؤ على مخاطبة مخدومها . لا بد أن تذهب إلى الشيخ «عبد الجليل» وتسأله عن قصة «خالد» إنه الوحيد الذي يعرف سره .. وفي منزل الشيخ «عبد الجليل» عرفت «زهرة» كل شيء عن «خالد» رحماك يارب ما أوسع رحمتك وعفوك ! ولكن ما العمل يا شيخ عبد الجليل ؟

هل أصارح ابني وفلذة كبدي بكل شيء قبل رحيله إلى الخارج ؟ وماذا ستكون النتيجة ؟ وما أثر ذلك في نفسه ؟ وكيف يتستى لي إثبات بنوته من المجرم الذي ضلّل بي وأغواني بكلماته المعسولة ؟

وفي هدوء رد عليها الشيخ «عبد الجليل» قائلاً : هذه إرادة الله يا ابنتي ولو عرف «خالد» أنك أمه الحقيقية لحطمت نفسيته وكنت سبباً موجعاً في تعاسته وقضيت على حياته وآماله الكبار . واحمدي الله أن وهبه الله هذه الأسرة الطبية التي كفلت رعايته وتبنته وحافظت على سرّه حتى اعتقد الناس أنه ابنهم الحقيقي، وردت «زهرة» والدموع تخنفها والحسرة تملأ قلبها المكلوم : ولكنه فلذة كبدي أريده أن يقول لي : يا أماه إنني أشعر بوخز الألم والخزي والعار .. وواساها الشيخ مذكراً إياها بأن أي تصرف منها قد يؤدي بحياة ابنها والمصارحة بالحقيقة في مثل هذه المواقف الصعبة أشد فتكاً من السهام .. تجلّدي يا ابنتي وكوني عاقلة وشجاعة، فمن الخير ألا يعرف ابنك الحقيقة المرة واسجدي لله شكراً على رحمته ولطفه .

ولم تجد «زهرة» بداً من الإذعان للأمر الواقع والرضى بما كتبه الله لها ودفنت آلامها في صدرها .. حتى إذا حانت ليلة الوداع الأخير لم تذق «زهرة» طعم النوم فقد

كان الموقف أقوى من أن تتحمله أعصابها الواهية فظلت تبكي في حرقة وألم حتى إذا جاء الفجر وحن رحيل خالد ودّع أمه سلمى الحزينة على فراقه وركب بجانب والده في سيارتها الفارحة . وقبل أن تمضي بها السيارة إلى المطار تذكر «خالد» شيئاً . إنه لم يودع مربيته العزيزة «زهرة» واستأذن من أبيه لحظة وطرق باب غرفتها ولكن لأحد يجب لا بد أنها تغط في نوم عميق وفتح الباب في رفق حتى لا يزعجها وهاله ما رأى . لقد كانت مسجاة على الأرض واقترب منها فوجدها قد فارقت الحياة وعلى شفيتها ابتسامة الرضى بما قسم الله لها وانحنى عليها وراح يطررها بقبلاته ويبلل وجهها المشرق بدموعه الساخنة، وأقبل عليه والده في جزع وكان موقفاً موثقاً وغشى الجميع موجة حزن على «زهرة» الإنسانية الوديدة الطيبة، ومضى «خالد» في طريق المجد بعد أن دفن سرّه إلى الأبد.





# عودة الحياة







## عودة الحياة

أوصدت الباب على نفسها وقلبها يعتصر من الألم وعلو وهبط وتشتد ضرباته وخفقاته والصداع يكاد يفتك برأسها الصغير.. تريد أن تستقر على رأي لمواجهة القنبلة المحرقة التي ألقت بها هذا الصباح امرأة كانت في يوم ما جارة لأُمها الحنون. وقد سافرت وانقطعت كل صلة لها بهذا البلد، ولكنها عادت اليوم فجأة لتحطم حياتها الزوجية بكلمة واحدة نطقت بها فاهتزت لها أسرة الزوجية، وكانت كالسهم الناري ألقيه رام بارع فأشعل النار في كل شيء حتى جعله هشيماً تذروه الرياح، وألقت «منى» بنفسها على وسادتها بعد أن أعيأها التفكير، وراحت تندب حظها العاثر، إذ لم يمس على زواجها سوى شهور قلائل. وأخذت تبكي في حرقة ومرارة ولم تكتف بهذا فقد كان الخبر المؤلم الذي نزل عليها كالصاعقة أعماها عن كل شيء.. فراحت تشد شعرها وتضرب يديها على صدرها.. ثم أخذ بكأؤها الخافت يرتفع وينقلب عويلاً، وفزعته والدتها المسكينة وأقبلت عليها مسرعة وساءها أن ابنتها في حالة سيئة كمن أصابه مس من الجنون وربتت على ظهرها وراحت تمسح بأناملها الرقيقة دموع ابنتها.

الأم : منى .. منى .. ماذا دهاك يا ابنتي؟ هوني عليك!!.. فإذا يفيد كل هذا؟

منى : اتركيني أمت يا أمي فلا حياة لي بعد اليوم.

الأم : ولكنها إرادة الله يا ابنتي.

منى : إنها كاذبة .. كاذبة فكيف تصدقونها؟

الأم : ولكنها أقسمت لنا يا ابنتي أنها أرضعتك «وسامي» من ثدي واحد.

وهذا يجعل استمرار زواجك مستحيلاً ف«سامي» الآن أخوك من الرضاغة شرعاً.

منى : وهل أنت وأبي عالمان دينيان حتى تفصلا بالرأي في هذه المسألة .

الأم : الأمر بين يا ابنتي كوضح الشمس ، لا يحتاج إلى برهان .

منى : بالله لا تقطعي حبل الأمل يا أماه . دعي والدي يستفتي العلماء ربما يجدون حلاً لمشكلتي .

الأم : كما تشائين يا ابنتي .

منى : وماذا سيكون موقف « سامي » .. إنني أخشى أن يجنّ لو عرف هذا .

الأم : سأترك لأبيك شرح كل شيء له بعد عودته من السفر .

ونسيت منى نفسها وآلامها ولم تعد تفكر إلا في « سامي » الانسان الذي أصبح جزءاً من حياتها بما أنعم الله عليها من حب دافق وسعادة غامرة حتى أصبحها مضرب المثل في السعادة الزوجية الكاملة .. ترى أين أنت الآن يا زوجي الحبيب ؟ لو كنت أعرف عنوانك الجديد في البلد الذي تزورها حالياً لأخبرتك بكل شيء ولكن هل هذا يحل المشكلة ؟ ! إنه سيزيدها تعقيداً سيكون الخبر صدمة نفسه له .. فأنا أعرف الناس بـ « سامي » إنه إنسان عاطفي رقيق القلب وقد يحدث له ما يسيء إليه لو عرف الحقيقة المرة .. من الخير أن أنتظر، فمن يدري ربما يحل الموضوع قبل حضوره وشعرت بارتياح نفسي ينفذ إلى أعماق فؤادها بعد أن استقرت على هذا الرأي ورفعت يديها إلى السماء !!! يارب لقد وهبتنا الحب ونعمة الحياة الزوجية فكنا بنا رحيماً .. يارب أنت أعلم بما في نفسي فامنحني الصبر وارحمي مما أنا فيه . إنك واسع الرحمة وقادر على كل شيء ..

وأغمضت جفניה ولكن النوم أبى إلا أن يجافي عنها فظلت ساهرة شاردة اللب ساهمة الفكر والدنيا من حولها يلفها سكون عميق ، فلا تسمع غير نباح الكلاب وصفارة الحارس الليلي الذي نشط تلك الليلة على خلاف عادته ليخفف عنها ما تشعر به من هم وقلق . فساعات الليل لمن في مثل حالتها النفسية السيئة لانهاية لها . وكأنني بها ولسان حالها يقول :

« ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل ؟

وعلى ضوء الفجر الجميل بدأ النسيم العليل يداعب أجفانها الساهرة فأحسّت بشيء من الاطمئنان بعد المعركة القاسية الحامية الوطيس مع آلامها فاستسلمت للنوم لتريح جسمها الضاوي وعقلها المضني الذي أجهدته كثرة التفكير.

أما والدها فلم تكن حالها بأقل منها إنها وحيدتها الغالية وعلى استعداد للتضحية من أجلها بكل شيء فهي ثمرة حبهما وكفاحهما في هذه الحياة. ولم يترك الأب عالماً فاضلاً إلا وسأله عن مسألة ابنته وكان الجواب واحداً لا يتغير «عدم شرعية هذا الزواج» وهو حائر لا يدري كيف يواجه ابنته الغالية بهذا النبأ القاسي. وقطعت عليه زوجته ما كان يعمل فكره فيه.

**الزوجة :** وما العمل الآن يا أبا منى؟. إنني خائفة عليها.  
**الأب :** لست أدري يا عزيزتي ماذا أنا فاعل؟.. مسكينة منى!! إنني أخشى عليها هول الصدمة.

**الزوجة :** لا حيلة لنا في مواجهتها بالأمر الواقع.  
**الأب :** ولكنها قد تصاب بصدمة نفسية.  
**الزوجة :** هذا ما أتوقعه وأخشاه.

وصدق حدس الوالدين .. فما ان عرفت منى بما أفتى به العلماء حتى خرّت مغشياً عليها ولم تتحمل أعصابها ذلك الموقف الرهيب، وأسرع والدها إلى طبيب مختص وأحضر على الفور ولم تفلح مهارة الطبيب في إنقاذ «منى» فقد كانت نبضاتها تدقّ ببطء وقسمات وجهها تعلوه صفرة داكنة.. وأشار الطبيب بنقلها إلى المستشفى حالاً لإسعافها قبل أن يتضاعف الخطر ويفلت زمام الموقف من يده.. ووسط موجة من الآلام والحزن حملت «منى» إلى المستشفى وأجريت لها إسعافات سريعة وبدأ نبضها يتحسن ولكنها لا تعي بمن حولها وظل الأبوان ساهرين بجانبها يدعوان الله من الأعماق أن ينقذ حياة «منى» من الخطر الذي يهددها. وفي اليوم الثالث بدأت أهدابها المتكسرة تتحرك وصوت خافت يخرج من فمها الصغير.. ولكنها لا تقوى على

الكلام، وردت الروح فيمن يقف بجوارها: طبييها المعالج ووالداها لأن هذا معناه أنها قد تعدت مرحلة الخطر فاللهم حكمتك ولطفك، وأشار الطبيب بعدم إزعاجها وطمأن والديها بأنها سوف تتحسن في الغد.

وفي اليوم التالي بدأت تفتح عينيها في صعوبة بالغة وكأنها تبحث عن شيء عزيز فقدته. ولما لم تجده أغمضتها مرة ثانية، واقتربت منها أمها الحنون، وأمسكت بيدها في رفق وراحت تمسح عنها حبات العرق الفضي الذي تساقط من جبينها. وفتحت منى عينيها مرة أخرى وراح قلب الأم يدق في عنف وغلبتها دموعها ولكنها أسرعت بطرف قيصها لإزالتها حتى لا تزيد آلام ابنتها. وفي نبرات حزينة بدأت تتحدث إلى أمها.

**منى :** لماذا جئتم بي إلى هذا المستشفى؟ وما هذه الاسطوانة البيضاء التي بجانبني؟

**الأم :** (في تأثر بالغ) لا شيء يا ابنتي إنها وعكة بسيطة وسنعود إلى البيت حالما تستردين صحتك.

**منى :** البيت !!! وتخفقها العبرات، فتبدأ في البكاء.

**الأم :** يا ابنتي كفى بكاء وارحمي نفسك.

**منى :** أنا لم يعد لي بيت فالموت أرحم لي من الحياة.

**الأم :** حرام عليك يا ابنتي فلا تقنطي من رحمة الله.

**منى :** قد كان لي أمل. أما الآن فقد انتهى كل شيء.

**الأم :** إنك تحطمين نفسك.. فحرام أن تسعي إلى حتفك بنفسك!!

**منى :** ما حياة الدنيا إلا متاع قليل والآخرة خير وأبقى.

**الأم :** إنك لا تزالين في عنفوان الشباب وفي عمر الزهور.

**منى :** (تضحك في هيسيريا) شباب.. زهور.. أما ترين حالي لقد أصبحت حطاماً.

**الأم :** إنها أزمة بسيطة وستعود إليك نضارة شبابك فلا تيأسي.

**منى :** أيمكن أن يحدث هذا.. لا أظن؟ مستحيل!

الأم : ولم هذا التشاؤم يا ابنتي.. إن الله على كل شيء قدير.

منى : آمنت بربي وبالقدر خيره وشره.. ولكن قلبي يقطر أسى على «سامي».. وأخشى أن يحدث له ما حدث لي، وتخنفها العبرات فتبكي.

الأم : (في تأثر) إن «سامي» يا ابنتي رجل يستطيع أن يتحكم في أعصابه وليس مثلنا تنهار أعصابنا لأقل شيء.

منى : ولكن سامي يحبني وهذا ما يخيفني.

الأم : ولكن شريعة الله وحكمه أقوى من الحب ومن أي شيء آخر وسامي رجل متعلم مثقف وسوف يدرك هذا من تلقاء نفسه..

منى : آمنت بالله وحكمه..

وتُسر الأم الحزينة لهذه النتيجة التي وصلت إليها ولم تكن تعلم كيف أوتيت كل هذه البلاغة والحكمة التي سرت كالسحر في نفسية ابنتها؟ وتطبع على وجنتها قبلات حارة تعبيراً عن رضاها وحبا وتشعر «منى» بهذا الحنان الدافق فتغشاها سِتّة من النوم ولكن خيال «سامي» لا يريد أن يفارقها فتغمض عينها علّها تنساه، ولكن هيات قلبها يحدثها بأن «سامي» سيعود إليها إن عاجلاً أو آجلاً ودليل المؤمن قلبه وفضلت أن تعيش لحظات خالدة في دنيا الأحلام مع الإنسان الذي أغدق عليها كل حبه وحنانه ولم تشأ الأم الحنون إزعاجها بعد أن رأتها مستغرقة في نومها وعادت إلى البيت لتحمل البشري السارة إلى زوجها الحزين الذي يتلهف لأي خبر سار عن تحسن صحة ابنته ومهجة فؤاده وقلبه.. وتفاجأ بصورة «سامي» وسكون رهيب يخيم على الدار وشحوب وقلق على محيا «سامي».

وتشفق عليه والدة «منى» فتهرع إليه وما أن يبصرها حتى يشد على يدها يقبلها وتحتضنه الأم كطفل صغير والدموع تسيل من عينيها.

سامي : ما هذه الدموع التي تملأ عينيك أين «منى»؟؟ أين عمي؟؟

الأم : إنها دموع فرح اللقاء بك يا بني «ومنى» وعمك بخير فاطمئن.

سامي : وأين هما الآن؟

الأم : عمك في غرفة نومه وهو قادم حالاً .  
سامي : ومنى ؟  
الأم : إنها في المستشفى يا بني .  
سامي : ( في هلع ) مستشفى ! يا إلهي ماذا حدث لها ؟ لقد تركتها في أتم صحة .  
الأم : وعكة بسيطة وقد زالت والحمد لله .  
سامي : مستحيل .. مستحيل .. أريد أن أطمئن عليها . هيا بنا إلى المستشفى فلا داعي للانتظار .

و يدخل عليها الأب والأم يكسو وجهه ويحتضنه سامي وجسمه يرتعش كعصفور وليد .. أصابه برد .

سامي : لماذا لم تبرق لي يا عمي بالخطر الذي حاق بزوجتي العزيزة ؟  
الأب : ليس هناك ما يدعو للإزعاج يا بني .. إنها أزمة وقد مرت والحمد لله .  
سامي : أزمة !! وعكة بسيطة .. لا أكاد أفهم شيئاً . أنتما تخفيان عني شيئاً لا بد أن زوجتي أصابها مكروهاً . دعوني أراها وأطمئن عليها . أين هي ؟ وفي أي مستشفى ؟

الأب : ليس الآن يا بني .. إن ذهابك إليها قد يضاعف من آلامها ومن يدري فقد تعود إليها أزمته المرضية مرة أخرى ؟ فتقضي عليها .  
سامي : أمر يدعو للغرابة والدهشة .. أعتقد أن رؤيتها كافية لحوآلامها وانتعاش صحتها .

الأب : لست أدري يا بني كيف أصارحك بالحقيقة ؟  
سامي : أفصح يا عماء فإن غموضك يحيرني ويحطم أعصابي .  
الأب : « منى » لم تعد تصلح لك زوجة يا بني .  
سامي : ماذا تقول ؟ هل أفهم من هذا أنها أصيبت بجاذب وأصبحت عاجزة أو مشوهة ؟ . أنا راض بها، إنها زوجتي ولن أتخلّى عنها .  
الأب : ( في تأثر ) إنك لم تفهم ما أعنيه يا بني .. « منى » قد أصبحت محرمة عليك شرعاً . إنها أختك !!!

**سامي :** ( في دهشة واستغراب ) هاه !! من قال هذا ؟ !! مستحيل .. مستحيل ..  
صارحني بكل شيء يا عماه .

ويروي الأب الحزين كل شيء لسامي وتغشاه موجة حزن قاسية وبعد تفكير عميق يقول «سامي» في انفعال وحدة: لا .. لا .. لا أكاد أصدق هذا فأني رحما الله لم تشعرني يوماً بأن امرأة ما أرضعتني في حياتي، وقد كانت تعرف أنني أحب «منى» من كل أعماقي وكان أحب شيء إلى نفسها أن تراني أزف إلى «منى» ولكنها ماتت قبل أن تتحقق لها أمنيتها الغالية . ولو كانت تعرف هذا لكانت أول معترض على زواجنا ولكنها باركت خطوبتنا بل هي التي تقدمت لخطبة «منى» .. أيعقل هذا ؟ لا بد أن هذه المرأة لاتعي ما تقول أو أصابها نوبة جنون !!

وفي هدوء أجاب الوالد الحزين .. والدته «منى» أخبرتني أنها في أكمل صحتها العقلية وهذا ما يحيرني ويقض مضجعي . ولكنني أخشى يا عماه أن يكون في الأمر التباس و يلح على عمه في مواجهة تلك المرأة .

وفي بيت ( أم الخير ) المرأة التي كانت سبباً في تعاسته الزوجية بدأ سامي يطرها بوابل من الأسئلة وكان جوابها لا يتغير إنها متأكدة من إرضاعه «ومنى» . وهل يمكن أن أنسى يا بني العلامة المميزة التي ولدت بها وميزك الله بها عن سائر خلقه حتى إن والدتك رحمة الله عليها قالت لي يوماً أحمد الله أن ابني لم يولد بنتاً ولا حرت في تزويجها .. ويشير هذا السؤال دهشة «سامي» و يبدأ يتحسس هذه العلامة المميزة .

**سامي :** ( في انفعال ) وأين هذه العلامة المميزة يا خالة . لا أكاد أرى شيئاً ؟

**أم الخير :** اخلع حذاءك الأيمن وجورك وسترى كل شيء بنفسك .

**سامي :** لك ما شئت يا خالة ويخلع حذاءه وجوربه أين هي ؟ أين ؟ !!

**أم الخير :** يا للعجب أين اختفى اصبعك السادس الصغير .

**سامي :** ( في دهشة ) ماذا تقولين .. إصبعي الصغير !! إن قدمي لا يوجد بها شيء من ذلك . لقد ولدت هكذا طبيعياً كسائر خلقه .

**أم الخير :** ألم تجربها عملية جراحية !



سامي : لا شك أنك تهرقين أو أصابك جنون.!!  
أم الخير : سامحك الله يا بني. إنني لأتذكر هذا الإصبع جيداً كما أتذكر نفسي الآن.

سامي : ولماذا أنا وحدي صاحب هذا الإصبع ؟ ألا يحتمل أن تكوني أرضعت إنساناً آخر «أسامة» مثلاً ؟  
أم الخير : ( في دهشة واستغراب ) «أسامة» ؟! ومن يكون هذا الإنسان وما دخله ؟

سامي : إنه ابن عمي ، يصغرنى بعام واحد ماتت أمه بعد ولادته وربينا تحت سقف واحد.

أم الخير : هذا محتمل يا بني .. أيمكن إحضاره لي حتى أتأكد بنفسي ؟  
سامي : سأحضره لك حالاً يا خالة.

وفي سرعة البرق يمضي سامي لإحضار ابن عمه أسامة وهنا تتكشف الحقائق فأسامة هو صاحب العلامة المميزة الذي أرضعته أم الخير، وتغشى الجميع موجة فرح وسعادة وينطلق «سامي» كالسهم إلى زوجته العزيزة ليؤلف إليها البشرى السارة وتذهل «منى» للمفاجأة التي حملها إليها «سامي» ولم تكن تتوقعها.

ويمضي ركب الحياة بهما في سعادة وأمان واطمئنان ، بعد أن زاح الكابوس الثقيل الذي كان جائماً عليها فما أجل عودة الحياة!! حياة الحب الخالد.. والسعادة الزوجية الكاملة!!



روح من السماء



## ثروة من السماء

عانى في طفولته من شظف الحياة وقسوتها ما يعجز القلم عن التعبير عنه .. وشب يتيماً معدماً وظل يتخبط في مجاهل هذه الحياة لاشيء يملكه إلا ذكائه الخارق، ولوشاء له حظه الطيب أن تبتسم له الحياة .. وينال قدراً من العلم لكان له شأن آخر ولكن العصر الذي عاش فيه، كان قاصراً على أبناء الأثرياء ممتن وهبهم الله المال الوفير والجاه والسلطة .. ولهذا لم يكن يطمح إلى التعليم وهو على ما هو عليه من بؤس وشقاء وفقير مدقع.

ومضى كغيره في درب الحياة الطويل معتمداً على نفسه .. عمل خادماً في أكثر من بيت حتى إذا نما عوده، وكبر لم يعد له مكان للعمل في أوساط البيوت، ولكنه شق طريقه مناضلاً مثابراً على الكفاح ما بين خادم في مطعم أو عامل في مخبز أو متجر .. واستطاع خلال عمله أن يقرر على نفسه ليوفر بعض المال الذي يجعل له كيانه في هذه الحياة، ويرتفع بنفسه عن هذه الأعمال الدنيا .. ونجح فيما خططه لنفسه .. واستطاع أن يصنع في ورشة نجارة لوحة دائرية من الخشب كتلك التي يستعملها الجواله من بائعي الفواكه، ومضى إلى حلقة الخضار والفواكه ليشتري بعض الفواكه بالجملة لبييعها لحسابه الخاص متنقلاً من شارع إلى آخر، ومن حارة لأخرى سعيداً مغتبطاً بعد حياة الذل والشقاء التي شرب كأسها المر ممّن عمل لديهم من أصحاب الأسرة أو المتاجر أو المخازن ..

وظل فترة من الزمن يعمل في هذه التجارة البسيطة التي كانت تؤمن له حياة معيشية متواضعة .. وأجر له غرفة صغيرة يأوي إليها حين ينال منه الجهد والتعب مبلغها محاولاً أن يدخر جزءاً كبيراً مما يربحه في إناء نحاسي داخل غرفته الحقيرة آملاً

في أن يتاح له استئجار محل لبيع الفاكهة ليربح نفسه وجسمه من عناء السير في الأزقة والشوارع ..

وتحقق له ما كان يتمناه .. واستطاع أن يحصل على دكان صغير في وسط المدينة وبدأت تجارته تنتعش ويزايد مع تجار الجملة .. وراجت تجارته واستطاع أن يستخدم عدداً من الباعة المتجولين ليزودهم ببعض صناديق الفاكهة لبيعها لحسابه ..

وذات يوم .. جاءت إلى سوق الفاكهة شحنة كبيرة من صناديق التفاح محملة على سيارة ضخمة .. ووجدها «شعبان» فرصة طيبة للمزايدة على شرائها .. ولكن الرجل المكلف ببيع هذه الشحنة لم يفرغها كالعادة من السيارة حتى ضاق شيخ الدالين به ذرعاً وبدأ بعض التجار ينصرف عنها إلى غيرها من الشحنات حتى لا يضع الوقت . أما «شعبان» الذكي .. فقد راق في عينه هذه البضاعة وتسمربجانها وزاده تصميماً وعزماً مارآه على محيا ذلك الرجل من اضطراب إذ راح طيلة الوقت يبحث بعينين زائغتين بين التجار متفرساً فاحصاً .. وعجب «شعبان» من أمر هذا الرجل الذي تأخر بعض الوقت عن تسليم البضاعة لأحد الدالين رغم ما في ذلك من مضرة لتجارته واضطراره لبيعها بثمن بخس زهيد .

وأخذ «شعبان» يطيل التفكير .. يفحص البضاعة بعينه و يلقي نظرة على الرجل الغريب الأطوار وأدرك أن في الأمر سرأ .. فإما أن تكون هذه البضاعة مهربة أو تالفة ، وإما أنه ينتظر تاجراً مزاحماً لبيعها بثمن مرتفع .. وتحسّس البضاعة كرجل ذي خبرة بعمله فوجد أن البضاعة من النوع الجيد الممتاز .. وصمم على شرائها مهما كلفه ذلك من ثمن ليكشف ما تحمله هذه الصناديق من ألغاز وأحاج ادركها عقله النير وذكاؤه المتوقّد .

وبزغ الفجر .. وبدأت الشمس تؤذن بالإشراق .. والرجل لا يحرك ساكناً .. واشتد قلق «شعبان» خوفاً من أن تفوته هذه البضاعة فيعود خاسراً دون ربح بعد أن بيعت جميع الأصناف الجيدة من الفواكه . واقترب من الرجل الغامض وقال في سداجة مصطنعة: ألم يحن الوقت بعد يا صاحبي لإنزال بضاعتك وبيعها .. ؟ وأحس

الرجل أنه أمام شخص ساذج غبي، ولم يدر أنه ثعلب ماكر أتقن دوره التمثيلي وأجاده. ووجد لها فرصة طيبة ليتيح المجال لهذا التاجر الغبي أن يشتري هذه البضاعة قبل أن يفتضح أمره أَمْلاً في انتظار الرجل الذي يريده.. ووجد أنه بالإمكان أن يشتريها من هذا التاجر فيما بعد مقابل إعطائه بعض الكسب المادي. وأجاب في هدوء: وهل يعقل ألا أبيع البضاعة؟! وأسرع ينادي شيخ الدالين لإنزال الحمولة وفتح النداء العلني.. ولم يجد «شعبان» من ينافسه بعد أن انفض عقد تجار الجملة ورست عليه البضاعة، وحملها لإحدى مخازن متجره مزهواً فخوراً.. ولم يمض وقت قصير إلا وأقبل اثنان إلى متجره أحدهما الرجل الغامض ويبدو عليها الاهتمام والقلق، وعرضاً عليه شراء البضاعة كلها بأرباح معقولة ولكن «شعبان» في هدوء بعد أن أدرك ما تحمله بضاعة اليوم من كنوز مطمورة وقال:

ما أشد غبائي وجهلي.. إنني أشعر بالحسرة لتفريطي في هذه البضاعة وتسرعني في بيعها.. لقد تصرفت بها للأسف وابتاعها مني بعض الزملاء من التجار والعملاء قبل وصولكمَا بدقائق.. ولو كنت أدرك حرصكمَا الكبير عليها لأجلت بيعها.. واحسرتاه «لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير»!!

آه يا صاحبي أما كان بوسعك حين رست عليّ البضاعة أن ترشدني مادمت تدرك قيمة هذه البضاعة وأهميتها بالنسبة لصديقك؟! لا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد أفسدت عليّ ربحاً وكسباً ما كنت أحلم بها أبداً طيلة عمري.. إنه خطؤك على آية حال.. وحملك الرجلان في وجهه وأصابها الدهول والخيرة وأحس أن هذا التاجر إما غبي أحمق أبله وإما داهية ماكر.. وحاولا أن يعرفا أسماء التجار والعملاء الذين أسعدهم الحظ بشراء هذه البضاعة.. وتقمص «شعبان» من جديد دور البله والسذاجة وراح يسرد على أسماعها أسماء وهمية لتجار وعملاء لا وجود لهم في الحياة، حتى لا يعرض نفسه للانتقام الرجلين منه وراحا في اهتمام يسجلان الأسماء.. وانطلقا على عجل يجذبان في البحث عمن أرشدهما إليهم. بينما أسرع «شعبان» إلى مخزن البضاعة دون أن يشعر به أحد ليكتشف السر الغامض الذي تحمله هذه البضاعة..

وأخذ في حذريفتح الصناديق واحداً واحداً.. باحثاً مدققاً.. وأخذ العجب إذ لم يجد بالصناديق سوى التفاح.. ترى هل يعقل أن يدفع الرجلان ذلك الريح الخيالي في صناديق هذه الفاكهة.. لا.. لا.. هذا غير معقول؟! فإن الاهتمام والحيرة والقلق على محيا الرجلين يكمن وراءها سر.. وأمسك في يده تفاحة وأعجبه منظرها ورائحتها الجميلة.. فأخذ يقضمها بأسنانه الحادة وأحس بجسم صلب صغير يصطدم بأسنانه.. فأخرجها.. واتسعت حدقتا عينيه.. وراح يدقق في هذه اللؤلؤة الفاخرة.. وأصابته الدهشة.. ياله من كنز مطمور تحمله هذه البضاعة.. إنها ثروة لا تقدر بثمن هبطت عليه من السماء.. ليت شعري.. هل كل تفاحة تحوي مثل هذه اللؤلؤة النادرة..؟

إنها ثروة كبرى طائلة ترفع أسهمي في الميزان التجاري وتجعلني في عداد طبقة الأثرياء الكبار.. وبدأ «شعبان» يسرع في حرص بالغ يخرج حبات اللؤلؤ النادرة ويجمعها ويضعها في صندوق حديدي.. كان لا يأبه بالعرق الذي كان يتصبب منه.. والجهد المضني الذي يبذله في سبيل استخراج اللؤلؤ الذي وضع بعناية بالغة محكمة..

وأضى وقتاً طويلاً لم يحس فيه بالجوع المضني أو العطش القاتل وهو يزاول هذا العمل حتى أفرغ كل ما في الصناديق. وهنا أحس براحة عميقة وشعور بالغبطة والسعادة وأراد أن يحمل صندوق اللؤلؤ ليوذعه في مكان أمين.. حتى لا تمتد إليه يد غريبة فتعبث به.. ولكنه في الربع الأخير من الليل!! وخشي إن هو غادر هذا المكان فقد يقبض عليه الحارس الليلي المناوب ظناً منه أنه لص.. ومن يدري ربما كان الرجل الغامض وزميله يتربصان به شراً.. ورأى من الخير له أن ينتظر حتى بزوغ الفجر.. ثم خطرت له فكرة دفن الصندوق داخل المخزن ريثا يدبر طريقة للتصرف في بيعه..

ورأى له هذه الفكرة.. فاستحسنها.. وبدأ يحفر الأرض في عزم وقوة وخباً الصندوق داخل حفرة كبيرة في إحدى أركان المخزن بعد أن احتفظ ببعض اللؤلؤ في جيبه وساوى الأرض كما كانت حتى لا يفطن إلى مكانه أحد.. ثم غلبه النعاس.. فاسترخى وتمدد على الصناديق واستغرق في نوم عميق..

وفي الصباح الباكر.. خرج من مخزنه متظاهراً يحمل صندوقاً من الفاكهة .. وعاد إلى بيته ولم يفكر في الذهاب إلى محله كعادته خشية أن يعثر عليه الرجلان .. واستأجر منزلاً آخر في حي بعيد عن سكنه .. وبدأ يتصرف في بيع اللؤلؤ واحدة تلو الأخرى .. واتفق مع أحد تجار المجوهرات ذائعي الصيت والشهرة .. على بيع قسم كبير من هذا اللؤلؤ بمبالغ كبيرة ..

وبدأ يمارس التجارة على أوسع نطاق .. وزاده الله بسطة وسعة في الرزق ... وامتدت شهرته إلى الآفاق بما كان يملك في حوزته من أراضٍ وعمارات شاهقة ومحلات تجارية لا حصر لها .. حتى أصبح اسم «شعبان الأمير» على كل لسان .. فهو الغني الواسع الثراء وحاتم زمانه الذي ينفق الأموال بلا حساب لكل من استجدى فضله وإحسانه، أو أظنّب في مديحه، أو تغنى بكرمه وجاهه .. وكان يطرب للمديح ويحذل بسخاء في هذه السبل ليداري عقدة النقص التي كان يشعر بها كلما تذكر ماضي حياته الأسود المليء بالمآسي والفواجع والكوارث والحزن .. ورغم أنه كان يملك قصرًا منيفاً شامخ البنيان يعجّ بالمستخدمين إلا أنه كان يؤثر غرفة نومه المتواضعة التي حرص أن تكون بجانب مكتبه الذي يزاول فيه تجارته ليأوي إليها للراحة والاستجمام كلما أحس بتعب أو نصب ..

ومضت السنون وتتابع، وثروته في نمو مستمر حتى أصبح من الصعب عليه أن يحصيها وذات يوم وقف ببابه متسول في حالة يرثى لها من الفقر والحرمان .. وحاول مدير مكتبه أن ينفحه ببعض المال ولكن الرجل المتسول رفض في إباء وشمم ما قدم إليه .. وأصر على مقابلة الوجيه المعروف «شعبان الأمير» وحاول مدير مكتبه أن يصرفه .. ولكن الرجل المتسول أبى إلا أن تتاح الفرصة لمقابلته ..

وأمام إلحاحه وإصراره سمح له بالدخول .. ووقف الرجل المتسول محملاً مشدوهاً وهو يرى فكهاني الأمس قد غدا ذا صولة وحولة وفي بحبوحة من العيش والغنى .. وتفرس «شعبان» في هذا المتسول العنيد يا إلهي .. إن صورة هذا الرجل ليست بغريبة علي .. ليت شعري .. أترأه أحد رفقاء الصبا ممن شاركوني آلام الحياة



وقسوتها؟! وتقدم الرجل المسكين منه خطوة علّه يعرف شخصيته.. وسحب «شعبان» درج مكتبه وألقى إليه برزمة مالية.. ولكن الرجل أعادها إليه وقال: لا أظن أنني بحاجة لهذا المال يا سيدي العزيز..؟ أتذكر ذلك اليوم الذي اشتريت فيه بضاعة التفاح..؟ وجئت إليك مع صديقي لأبتاعه منك!! وتظاهرت بالغباء والسذاجة.. وحاولت تضليلنا بأسماء وهمية أعجزنا البحث عن شخصيات أصحابها!! إنني ذلك الرجل يا سيدي.. ولقد كَلَّتْ قدمي في البحث عنك في كل مكان.. ولكنك اختفيت رداً من الزمن حتى إذا اطمأنت نفسك، عدت إلى مسرح الحياة.. آه!! ما أغبانِي يا صديقي يوم أن وضعت كل ما أملكه لأتاجر في اللؤلؤ بطريقة التهريب.. ولو سلكت جادة الطريق المستقيم.. لكنك الآن في هذا المركز الذي تنعم به.. ياله من جزاء رادع ودرس قاس أجتر آلامه طيلة هذه السنين، حتى غدوت طريداً في هذه الحياة أعاني مرارة الجوع والحرمان..

أعرفت من أكون الآن يا سيد شعبان..؟ ولم يستطع أن يكمل حديثه فقد غلبته الدموع الغزيرة ثم لم يلبث أن وقع مغشياً عليه..

وعصفت الذكريات بشعبان.. واستيقظ فيه الضمير الحي.. وأسرع نحو الرجل المسكين لإسعافه، حتى إذا أفاق من صدمته القاسية راح يواسيه آلامه وجراحه، ثم نقده مبلغاً كبيراً من المال يكفيه لإقامة محل تجاري.. وبنظرات ملؤها الشكر والتقدير والوفاء بالجميل.. ودّع الرجل المسكين الثري «شعبان» ومضى في درب الكفاح الطويل ليواصل من جديد حياة العمل الشريف..



الأهل الضائع



# الأمَل الضائع

ولدت «راوية» في بادية الشام .. وجاءت إلى هذا البلد في موسم الحج مع أسرتها منذ سنوات طويلة وهي لم تنزل في سن الرضاعة واستقر بأسرتها المقام في إحدى القرى النائية حيث وجد والدها العمل كفلاح في مزرعة واسعة يملكها أحد الأثرياء .

نشأت «راوية» في هذه القرية وعاشت نفس الحياة التي يعيشها أهل هذه القرية ترعى الأغنام التي يملكها أبوها ..

وذات يوم وقفت على عتبة باب الكوخ الذي تسكنه ترقب الأفق البعيد وكأنها تبحث بين طياتها عن مستقبلها الغامض الذي ينتظرها في هذه القرية الصغيرة التي قدر لها الحياة فيها .. وأحسّت بالألم يعصر قلبها وهي تنظر إلى هذه الأكواخ المبنية باللبن في غير ترتيب أو تنسيق وقد تناثر من حولها روث الأغنام والإبل .. وتساءلت ..!

ترى هل كتب عليّ أن أعيش أبد الدهر في هذه القرية النائية .. أرعى هذا القطيع من الماعز .. أنصت إلى ثغاء الشياه ورغاء الإبل وأعيش في كنف والد معدم فقير .. وأم كادحة تعمل طيلة يومها لتساعد أبي على توفير الغذاء والكساء ..؟

وأطرقت تفكر ملياً في الأمر، وتواردت عليها الخواطر وزين لها عقلها الصغير أن تهجر القرية إلى المدينة حيث الحياة الصاخبة والعيش الرغيد .. إنها وأسرته يستطيعون أن يجدوا مجالاً طيباً للعمل . واختمرت الفكرة في رأسها .. فأسرعت إلى والديها تحثهم على النزوح إلى المدينة وتلحّ في الرجاء .. ولم تفلح توسلاتها ودفاعها في إقناع والديها وسكتت على مضض ..

وتمر الأيام في ببطء شديد قاتل .. وراوية في صراع نفسي . إنها تمقت هذه الحياة التي تعيش فيها ولكنها لا تستطيع أن تعبر عن مكنون فؤادها .. لأحد يعبر رأيها أي احترام .. إنها في نظرهم لا تزال صغيرة غرة ساذجة وهي تخشى أن تمضي بها الأيام وتكبر و ينمو عودها ولا يتحقق لها حلمها الجميل . وتجد نفسها تزف إلى واحد من شباب هذه القرية رغماً عنها لتعيش نفس الحياة الرتيبة ..

وأحسّت بموجة من الحزن تغمرها واسودّت الدنيا أمام عينيها .. ورأت من الخير أن تدفن آلامها وأحزانها في صدرها بعد أن يئست من تحقيق رغبتها ..

و يتدخل القدر ليمد يده إلى « راوية » الحائرة الحزينة ليحقق لها الحلم السعيد .. فقد جاء صاحب المزرعة الصخمة التي يعمل فيها والدها تصحبه زوجته ليقضيا أياماً في هذه القرية يتفقد فيها أحوال مزرعته . وطلب الوالد من ابنته « راوية » أن تقوم بشؤون خدمتها أثناء بقائها . وأعجبت السيدة « نعيمة » زوجة الرجل الثري بالفتاة « راوية » وما تتميز به من حدة في الذكاء وأصالة في الطبع وسرعة في البديهة . وأحسّت بعاطفة وحنان تشدها نحو الفتاة . إنها ستكون خير أنيس لها بعد أن حرمت نعمة الخلف . فاستأذنت من الشيخ « رفيق » والد راوية أن يسمح لها بأن تصطحب ابنته معها لتعيش في المدينة كواحدة من أفراد أسرته وخاصة وأن خالتها تخدمها مريضة ونقدته مبلغاً من المال لتضمن موافقته ووجدها الأب فرصة طيبة بالنسبة لمستقبل ابنته وضمان حياة عمله في هذه المزرعة فوافق على الفور بعد أن شكر السيدة « نعيمة » على أرحمتها وكرم أدبها ولطفها . وأسرع إلى ابنته يحمل إليها النبا السار .

وشد الجميع رحالهم إلى المدينة .. الأب يحلم بالمال المدخر إذا لقيت الحالة بارئها .. والأم قلقة على مرض أختها الحنون وتحترق شوقاً وهفة إليها ..

والابنة تشد الآمال الكبار التي تنتظرها في المدينة . وفي القصر المنيف استقبلتهم الحالة بترحاب بالغ بعد أن أنعم الله عليها بالشفاء العاجل .. وكانت خيبة أمل للأب الطامع في ثروتها ونشوة وفرحاً بالنسبة لراوية وأمها .. ومكث الجميع في ضيافتها أسبوعاً وأعجبت الحالة « براوية » وما بذلته من نشاط وجهد في مساعدتها أثناء

مقامها بالبيت . فاستأذنت والديها عند رحيلها بأن تبقى «راوية» معها لتشاطرها الحياة في هذا القصر الذي لا يعيش فيه إلا رجل ثري جاوز الخمسين من عمره وزوجته في مثل سنه .. وحتى تضمن موافقة الأب وعدم معارضته دسّت في يده مبلغاً كبيراً من المال فرح به الشيخ العجوز . ولم ينس وهو يودّع ابنته قبل رحيله وزوجته أن يوصيها بإرسال ماتجود به عليها الأسرة . ووعدته «راوية» بأنها لن تتوانى في إرسال كل ما يخصصها إليهما . إنه لا يهمها المال بعد أن تحقق لها أعز مطلبها في هذه الحياة ..

وفي كنف ورعاية هذه الأسرة عاشت الفتاة معزة مكرمة، ووجدت الحب الكبير والعطف والحنان من سيدة القصر التي رعتها كابنة لها بعد أن حرمت من نعمة الخلف، .. وتهيأت لها كل أسباب الحياة الكريمة .. فلم تبخل عليها ربة هذا البيت بأي شيء .. اشترت لها أحسن الملابس وأعفتها من خدمة البيت وألحقتها بإحدى المدارس لتتعلم وتنال قدراً من العلم والثقافة بعد أن رأت ما تميزت به الفتاة من ذكاء وطموح .

وبدأت الفتاة القروية الهزيلة تكبر بسرعة .. وداخلها الغرور والكبرياء يوماً وهي تقف أمام المرأة .. وراحت تخاطب نفسها قائلة :

هل أنا راوية القروية ... ؟ ما أبشع هذا الإسم .. إنه ليذكرني دائماً بما كنت فيه من ضنك العيش وحياة البداوة .. وددت لو كان إسمي نهلة .. هيام .. فاتن .. فهذه الأسماء ذات جرس موسيقي بديع تتلاءم وما أنا عليه من روعة الجمال والفتنة . فهذا الشعر الأسود الفاحم الجميل المخضب بأفخر روائح باريس كان بالأمس يكسوه التراب ويعشش فيه القمل .. وهذا المحيا الفاتن الذي تكسوه نضرة الشباب وحيويته وقد كان من قبل أسمر داكناً قد أحرقت حراة شمس الصحراء .. وهذه القامة المشوقة الساحرة التي أظهرت جمالها موديلات هوليوود وباريس كانت تخفيها الأثواب الرثة البالية الفضفاضة .. وهاتان الشفتان الدافئتان الورديتان قد كانتا ضامرتين تملوهما الشقوق ..

ومن فرط إعجابها وتيهها بنفسها .. راحت تستعرض نفسها أمام المرآة وكأنها «مانيكان» تستعرض أحدث الموديلات لترى أي رداء يمكن أن تبدو به أكثر فتنة وجالاً .. وفي غمرة هذا الإعجاب والتيه بنفسها .. جاءها صوت خالتها مدوياً باسمها في فزع ..

الخالة : راوية .. راوية .. يا راوية .. أسرع بالحضور حالاً .  
راوية : (تخاطب نفسها) يا إلهي .. ماذا جرى لخالتي إن صوتها غريب ممزوج بالخوف .

الخالة : تنادي : يا راوية .. راوية .. أسرع يا ابنتي ..  
راوية : نعم يا خالة .. هأنذا قادمة إليك وماذا بك يا خالة .. لِمَ البكاء والعيول .. أرجوك أن تتكلمي ..

الخالة : سيدتي «نعيمة» يا راوية .. إنها .. وتبكي ..  
ثم تقول : لقد ماتت فجأة .. وتبكي ..  
راوية : مستحيل .. مستحيل .. سيدتي «نعيمة» بخير .. لقد تركتها منذ ساعة وهي في أحسن حال .. ثم تبكي ..

الخالة : لقد أخبرني سيدي «شفيق» أنها ماتت بالسكتة القلبية .. وتبكي .. ثم تقول : مسكينة أنت يا سيدتي «نعيمة» ، كم كنت غاية في الطيبة والبرقة اللهم أسكنها فسيح جناتك .. وتبكي ..

راوية : في صوت ممزوج بالبكاء .. حقاً إنها أحسن إنسانة في الوجود .. لم تشعرني يوماً بأني خادمتها .. دائماً تدعوني بابنتها .. مستحيل أن تكون أُمي «نعيمة» قد ماتت .. مستحيل .. مستحيل .. وتبكي في هستير يا ..

ويسود جو البيت موجة من الحزن .. فقد كانت السيدة نعيمة على خلق رفيع وأدب وتواضع جم . الكل يولها احترامه وتقديره لمعاملتها الكريمة لهم وعطفها وحنانها عليهم . وكان أشد الناس حزنًا عليها خالة راوية .. لم يهنا لها نوم أو يلذ لها طعام أياماً بعد وفاة سيدتها وولي نعمتها .. ولم تلبث أن لحقت بها عند بارئها بعد أسابيع من

موتها. وغمر البيت من جديد سحابة حزن. وحزنت «راوية» كثيراً على وفاة خالتها التي كانت السبب فيما وصلت إليه من سعادة وراحة. ورأت أن من الحكمة ألا يصل نبأ وفاة الخالة إلى أسرتها خوفاً من أن يصراً والدها على العودة إلى حياة القرية التي تكرهها.. ورأت من الخير ألا تواصل دراستها حتى تسهر على راحة سيدها وهو آخر من تبقى من شجرة العائلة التي كانت تحوطها بكل رعايتها وعنايتها. ولم تنس أن تغدق على والديها بالمال الذي ورثته عن خالتها لتضمن عدم ملاحقته لها في المدينة.

ومضت الأيام وتتابعَت السنون و«راوية» كل يوم تنمو وترعرع ويتفتح جمالها كما تتفتح الزهرة تحت حرارة الشمس. وأصبحت امرأة بكل مافي هذه الكلمة من معنى وبدأ صاحب القصر الذي يقترب إلى حافة القبر بخطى واسعة ينظر إليها في إعجاب وبعين نهمة. وأخذ يشعر بجمال الحياة وحيويتها كلما وقعت عيناه على هذا الجمال الساحر الذي يشاركه الحياة في بيت واحد. وبدأ يعتني بهندامه وصحته.. لم يترك طبيباً نطاسياً ماهراً إلا واستشاره وطلب نصحه في علاج يهيه الشباب والحيوية.. وصبغ شعره الأبيض ليعيد شيخ الشيخوخة عنه. وبدأ يولي كل اهتمامه براوية.. ووفر لها كل أسباب الراحة.. فالقصر المنيف أصبح كخلية نحل يعمل فيه أكثر من خادم وطاه ومربية، الكل يسهر على راحتها.. ما عليها إلا أن تأمر والكل مطيع منفذ لرغباتها.. لا تطلب شيئاً منها غلا ثمنه إلا وأحضره لها في الحال. وإذا أُلِّمت بها وعكة بسيطة حضر الطبيب على الفور لعلاجها. وأمعت راوية في دلالها.. وهي ترى نظرات الإعجاب والحب تطاردها من سيد القصر المتصابي..

وراحت تتعمد بشتى الطرق أن تبرز مفاتها أمامه حتى تلهب أعصابه الثائرة ليكون أسير حبها وحدها، ولا يفكر في إنسانة أخرى تشاركها هذه الثروة الطائلة. إنها تريد أن يكون هذا العجوز المتهالك صريع حبها لتتم لها الفرصة الكبرى بالزواج حتى تصبح الوارثة الشرعية لهذا السلطان والجاه بعد وفاته..

وفي أصيل ذات يوم.. كان الهرم يتناول الشاي في حديقته الجميلة ذات الأشجار الباسقة والورود المتفتحة ذات الرائحة العبة.. ووجدت راوية الفرصة سانحة لتحقيق



أعز أمنية لها في هذه الحياة فارتدت ثوباً أنيقاً ووقفت بجانب الزهور تداعبها .. ومن خلال النظارة الطبية السمكية .. راح الكهل المتصابي يتابع هذه التحفة الإنسانية الساحرة .. ففتن بها أكثر من أي وقت مضى وأحس أنه يتعذب ويتقلب على نار الغضب وأخذ يطيل التفكير لبحث له عن طريقة ييوج بها بحبه لها، ورغبته في الاقتران بها ولكنه يخشى أن تصدمه برفض طلبه . وأدركت الفتاة الذكية حيرته وقلقه .. ووجدت أن اللحظة جميلة متفتحة .. وشعر العجوز بارتباك وهي تقبل نحوه .. ولكنه سرعان ما تجمعت لديه الشجاعة الثامة ليقول لها :

شفيق : أهلاً .. أهلاً .. «راوية» الغالية .

راوية : سيدي العزيز، معذرة فإنني لم أحس بوجودك هنا لانشغالي بتنسيق حوض الزهور .. انظر إلى هذه الورود الجميلة .. إنها من حوض زهوري وتربية يدي ..

شفيق : (في تعجب) يا سلام !! إنها وردة رائعة تماماً يا راوية !!

راوية : (تضحك في غنج ودلال) .. سيدي .. إنك تخجل تواضعي .

شفيق : أرجوك يا راوية ، لا داعي لأن تقولي «سيدي» .. شفيق فقط .. ويضحك ضحكة بلهاء ..

راوية : (تضحك) ثم تقول يا سلام !! كم أنت إنسان عظيم لكم أنا مدينة لك بحياتي ..

شفيق : (يضحك) ثم يقول : العفويا «راوية» .. لقد ملأت بيتنا حياة وغبطة ولولا وجودك بجانبني لأصبحت في دنيا الهالكين ..

راوية : أوه .. لا تبالغ في إطرائي ومدحي .. فما أنا إلا خادمة لك ..

شفيق : (يقاطعها) .. أستغفر الله .. رجوتك ألا تكرر هذه الكلمة يا راوية أنت !! و يتلثم .. ثم يتابع حديثه : أنت أعز إنسانة لي في هذه الحياة .. أما ترين .. لقد جددت شبابي وحيويتي حتى أصبحت إنساناً آخر .

راوية : (تضحك) ثم تقول : بل أنت مثال للحياة والنشاط .

شفيق : إيه .. إن أعظم ما أتمناه في حياتي يا راوية أن أراك في كامل السعادة

والرفاهية ..

راوية : إنني في غاية السعادة طالما أنت بجانبني ترعاني وتحميني ..  
شفيق : لقد أنساني حديثك الشجن فكرة جالت بخاطري .. ولكن لا داعي  
الآن .. إنها كما يبدو لي سخيفة .. سخيفة ..

راوية : أرجوك .. أرجوك أن تطلعني على هذه الفكرة وتأكد أنها لن تكون  
سخيفة .. هيه .. هأنذا منصتة إليك .. تفضل ..

شفيق : (في صوت يبدو فيه الارتباك والقلق) إنني أشعر بالوحدة يا راوية منذ  
موت المرحومة «نعيمة» .. وقد فكرت في الزواج .. فإذا ترين ؟

راوية : (في انزعاج) زواج .. لا .. لا .. مستحيل .. مستحيل .. إذا فكرت في  
الزواج فلن أبقى هنا في البيت ثانية واحدة .. وتبكي ..

شفيق : (يضحك) كم أنت ساذجة يا راوية وتتعجلين الأمور إنك لم تفهمي ما  
أقصده .. لقد كان الأجدر بك أن تسألي أولاً من الزوجة التي اخترتها ؟  
وبعد ذلك تصدرين حكك .. أليس كذلك ؟!

راوية : (بعد أن تمسح دموعها) هيه .. حسناً .. ومن هذه الإنسانية السعيدة التي  
اخترتها لتكون شريكة حياتك يا ترى ..؟ هيه .. تكلم ..

شفيق : (في تلثم) أنت يا «راوية» ..

راوية : (في دهشة وفرح) هيه .. أنا .. أنا .. هل هذا معقول .. أكاد لا أصدق ..  
شفيق : بل صدقي يا «راوية» .. وأريد أن أسمع جوابك .. هيه ما رأيك ..؟

راوية : (تضحك ضحكة خفيفة) ثم تقول في تلثم : أنا .. لا أدري .. لا أدري ..  
الأمر بيدك يا سيدي (وتضحك ضحكة خفيفة تدل على قبولها بالزواج) ..

ويقرأ العجوز المتصابي في عيني «راوية» الاستجابة الكاملة .. وما درى أنها  
الفرصة الكبرى التي كانت تتمناها وتحلم بها منذ أمد طويل .. ويسرع إلى إتمام  
مراسيم الزواج في نشوة بالغة وهو لا يصدق أن الفتاة قد استجابت لطلبه بهذه السرعة  
الفائقة .. فقد كان يتوقع أن تثور في وجهه بمجرد أن يصارحها بالزواج .. أن تهجره ..  
أن تغلظ له في القول .. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

وتم الزواج بهذه الفتاة التي لاتعدو ابنة من بناته .. وبدأت تلعب بفكره الهواجس وراح يخاطب نفسه :

ترى ما الذي حدا بها إلى الزواج بي وهي تدرك أنني كهل قد جاوز الستين من عمره...؟! أهو طمع في ثروتي الضخمة التي أملكها...؟! أم رد للجميل الذي طوقت به عنقها...؟!

أم المعاملة الكريمة والحب والحنان الذي أغدقته عليها...؟! أم تراها أعجبت بي بعد أن رأت ما أنا فيه من نشاط وحيوية...؟! لا .. لا .. إن فتاة كـ«راوية» لا يمكن أن تطمع في ثروتي بعد أن وهبت لها هذا القصر المنيف قبل زواجي بها .. إنه الإعجاب بي دون شك .. ثم الحب والحنان الذي أغدقته عليها منذ مقامها بهذا البيت .. ولماذا تعارض في الزواج وأنا الرجل الوحيد الذي عاشته وعرفته عن كثب؟! فتقاليد أسرتنا لم تكن تسمح بالاختلاط كما هي الحال في الخارج ..

وبينا العجوز شارد في تأملاته .. سابح في أفكاره وخيالاته .. تقبل عليه زوجته «راوية» وما أن يبصرها حتى يهتّ واقفاً لاستقبالها وينسى ما كان يفكر فيه، لينأى بالحب الجديد الطارئ والسعادة المنتظرة .. ولكن هل تحقق للعجوز المتصابي، والفتاة المغرورة السعادة التي كان يحلم بها كل منهما...؟!

بعد مرور شهر على هذا الزواج .. بدأت جذوة الحب المشتعلة تحبو .. والحلم الجميل يتحطم على صخرة الواقع المرير .. فكل منها شعر بفداحة ما ارتكبه من خطأ جسم .. فالزوج الكهل أحسّ بأن ما كان يشعر به من نشاط أو حيوية ما هي إلا أوهام جسمها له خياله الكاذب .. إنه زوج غير كفء لفتاة غضة جميلة في سن واحدة من أحفاده لوجاد الله عليه بالخلف ..

والفتاة الطامعة في المجد والثروة .. أدركت أن السعادة والحب لا يمكن أن يحققها المال الوفير والثروة الطائلة .. وأحسّت بالضيق .. ضياع شبابها وجمالها وعصّت على

نواجذها ندماً وخيبة .. ولكن ماذا تفيدها الحسرة والندم .. وهي التي سعت لهذا الزواج عن رغبة وشوق أَمْلاً في تحقيق حلمها الكبير .. فهل ترضى بالعيش في كنف كهل لا تدري متى يحين أجله ..؟

أم تراها تثور وتحطم هذه الحياة الخادعة ..؟ وماذا ستكون النتيجة ..؟ ترى هل يوافق الزوج على طلاقها؟ وعلى فرض أنه أخلى سبيلها .. فهل يتركها ترتع في هذا النعيم وهذه الحياة الجميلة التي ألفتها ..؟ أم يلقي بها في الشارع بعد أن يجردها من كل شيء انتقاماً منها لتعود إلى حياة البؤس والشقاء ..

أسئلة تزاхت في مخيلتها ولا تجد جواباً لها .. لا .. لا لن أعود إلى حياتي الأولى .. إنه الشقاء .. سأبقى بجانب هذا الكهل حتى يلقي ربه لن أترك هذه الثروة الطائلة تفلت من يدي .. سأرثها إن عاجلاً أو آجلاً ..

وأقنعت راوية نفسها بالعيش في ظل زوجها الكهل .. إنها لا تزال تحلم بالمجد المقبل والثروة المنتظرة .. ولكن الفتاة لم تستطع أن تتحمل الحياة مع هذا الزوج بعد أن مد الله في عمره وبدأت المشاحنات والبغضاء على أشدها بينهما ولم يعد يتحمل أحدهما الآخر ..

فالزوج الكهل بدأ يشعر في قرارة نفسه أن زوجته لا تكن له أي حب أو عطف أو حنان كسابق عهده بها وزين له شيطانه شبح الخيانة الزوجية .. فأخذ يضيق عليها كل السبل . فإن رآها يوماً في رداء جميل مزقه وألقى به على الأرض وإن شاهدها تقف بالنافذة تستنشق بعض الهواء خيل إليه أنها تخونه مع شخص آخر، وأسرع إلى النافذة يحكم غلقها . وإن سمعها تحدث صديقة لها بالتلفون أسرع إلى الحجرة المجاورة ليستمع إلى المحادثة ليتأكد بنفسه من محادثها ..

وإن ذهب إلى المكتب التجاري أحكم غلق الباب بالمفتاح حتى لا تفكر في الهرب لقد أصاب الكهل جنون الغيرة .. وحاولت الفتاة أن تتذرع بالصبر، وتندب حظها العاثر وتسري عن نفسها بالبكاء .. دون جدوى ولم تعد أعصاب الفتاة تتحمل

هذه القسوة الجنونية.. فانفجرت يوماً وثارت في وجهه إثر مشادة كلامية بينها.. عزّ على الكهل أن يرى ربيته.. وهو ولي نعمتها.. تتناول عليه بكلام مقذع فأمسك بتلابيبها وأشبعها ضرباً ولكماً ورفساً بلا شعور.. و دون وعي أمسكت الفتاة بزجاجة عطر فخمة وهوت بها على رأسه.. فخرّ الزوج المتهالك صريعاً.. وراح الدم ينزف من رأسه.. وأحسّت الفتاة بالجرم الكبير الذي ارتكبته عن غير قصد.. فأصابها نوبة جنونية حينما رأت الدم يسيل بغزارة.. وهرع الخدم على صراخها وعويلها وهالهم ما رأوا.. سيد القصر مسجى على الأرض لا حراك له.. و«راوية» بجانبه تتحسّس بيد مرتعشة خائفة من الدماء الساخنة التي كانت تنزف منه..

وفي مستشفى الأمراض العقلية.. كانت الرحلة الأخيرة والأمل الضائع للفتاة القروية «راوية» الطامعة في المجد والثروة والجاه والسلطان..



عندما تصفوا القلوب



## عند ما تصفوا القلوب

مات والده وهو طفل صغير لما يتجاوز السادسة من عمره، كان موت أبيه كالعلم والخيال لا يذكر شيئاً عنه، ولم تشأ أمه الحنون وهي المرأة الشابة التي تتمتع بقسط كبير من الجمال أن تتزوج من تقدم لخطبتها، فإن حبها لزوجها الذي اختطفته يد المنية وهو في ريعان شبابه لا يزال يعيش في قلبها الكبير رغم أنه أصبح تحت الثرى ومحال أن يعود إلى حياتها من جديد.. ولكنه حي في قلبها وكل جوارحها تراه في ثمري حبها «سمير» و«نوال». وقررت أن تضحي بالغالي والرخيص من أجل أن تهّيء لطفليها حياة كريمة هائلة حتى تعوضها حنان الأب وعطفه.. ولكن راتب والدها الضئيل لا يكفي لسد حاجة الأسرة كلها وزوجها الراحل لم يترك لهم سوى منزله الصغير، ودخله البسيط من الأيجار لا يكفي لإعاشتهم، وهي لا تريد أن ترهق والدها بالديون وصممت أن تعمل حائكة ملابس لأنها المهنة التي تعلّمتها في حياتها وبذلت مجهوداً كبيراً من أجل الحصول على ملابس لحياكتها من جيرانها الذين عطفوا عليها وأكبروا لها تضحياتها من أجل أبنائها. واستطاعت بكفاحها أن تكتسب شهرة طيبة بين سيدات الحي حتى أصبحت حائكة الحي المشهورة، وأنعم الله عليها بالرزق الواسع والخير الوفير، وكانت كريمة النفس فلم تبخل على والديها بشيء من دخلها، فقد كانت تؤمن بالأثر القائل: «أنت ومالك لأبيك» أما طفلها فكانا كل شيء في حياتها. كل ما تدخره من مال تبذله من أجلهما.. لم تبخل عليهما بأفخر الملابس.. ف«سمير» كان يبدو في أحسن حلّة سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع.. و«نوال» كانت ترتدي أجمل ما أنتجته مصانع فرنسا. والطفلان سعيدان في كنف أمهما بيد أن «سمير» كان أكثر تعلقاً بأمه لحبها وعطفها عليه، وكنتيجة لهذا الإفراط في الحب أصبح لا يسير خطوة دون أن يستشيرها ويأخذ رأيها حتى في أبسط أمور الحياة.



لقد أفقده دلال الأم وحنانها المفرط كل شيء.. فأمه بالنسبة له عقله وفكره تسيّره كيفما شاءت. ونما «سمير» وكبر وأصبح فتى يافعاً، ولكنه كان دائماً التعثر في دراسته، وحرصت والدته أن تهتئ له مدرسين خصوصيين لتدريسه ولكنه لم يفلح ووقف عند المرحلة الإعدادية، ولم يستطع أن يتابع دراسته بعد أن فشل في امتحان الإعدادية ثلاث سنوات فانقطع عن الدراسة ليعيش بجوار أمه متعطلاً يعتمد على ما تقدمه له الأم من مصروف لجيبه الخاص. ولكن حياة البطالة لم تعجبه وهو يرى زملاءه في الدراسة يتقدمون في دراستهم، ويبعثون إلى الخارج لمواصلة تعليمهم الجامعي وخجل من نفسه بعد أن رأى نظرات الهزء والسخرية توجه إليه.. وبدأ يحس بأنه قد أصبح رجلاً وفكر في أن يعمل، وقرأ يوماً في الصحيفة عن وظائف شاغرة وبدأ يتابع في اهتمام نوع الوظيفة التي يمكن أن يمارسها، فإلهه من شهادات لا تؤهله إلا لوظيفة في المرتبة التاسعة.. فأحس بالضيق وتمنى لو تابع دراسته حتى يستطيع الحصول على وظيفة مناسبة وبدأ يقنع نفسه بأن يعمل حتى يتخلص من حياة البطالة والحمول. خاصة ودخل أمه بدأ ينضب بعد أن نافستها في صنعها هذه المتاجر الفخمة التي تعرض مختلف الموديلات من الفساتين بأسعار زهيدة.

وبدأ الحياة العملية في وظيفته التي اختارها، ووجد في زملاء العمل ممن لهم نفس ظروفه ما شجعه على الاستمرار والكفاح في العمل.. ولكنه لم يتخلص بعد من عقدة النقص التي كان يشعر بها نحو التصاقه بأمه، فكان يسلمها راتبه بعد أن يأخذ منه حاجته الضرورية، وعزّ على الأم أن ترى ابنها المدلل يتحمل مشاق السير إلى عمله على قدميه بينما زملاؤه من الشباب يمتطون سيارات زاهية إلى أعمالهم، وقررت أن تبيع المنزل الصغير وهو كل ما بقي لهذه الأسرة، ثم خطرت لها فكرة لماذا لا يتزوج سمير.. إن قيمة البيت تكفي لشراء سيارة ومهر العروس وتكاليف الزواج.. إنها تريد أن تفرح به فهل يوافق ابنها؟! طبعاً إنه لا يخالف أمرها. إنها لم تتعود أن يقول لها يوماً في حياته. «لا». إنه مطيع منفذ لكل أوامرها ورأت هذه المرة أن تستشير له لتعرف رأيه. وحين عاد «سمير» عند الظهيرة إلى البيت، وكان يبدو عليه الإعياء والإرهاق.. فقد كان الجو قاسياً ملتهب الحرارة، واقتربت منه بعد أن ارتدى ثيابه المنزلية وجلست

بجانبه وفي حنان ورقة قالت له :

الأم : أراك منهك القوى يا بني والعرق يتصبّب من جسدك كلّهُ .

سمير : إيه !! الجو في الخارج لا يطاق ، وقد تأخرت اليوم في عملي ومضت سيارة الموظفين بدوني .

الأم : (في دهشة) سيارة الموظفين .. ولكني لا أعلم أن للموظفين سيارات وما رأيتك يوماً تمتطيها .

سمير : إن حكومتنا يا أماه لم تبخل على صغار موظفيها بتأمين تنقلاتهم . ولكن العيب في دارنا فهو يقع في منعطفات ضيّقة ولهذا أضطر للنزول عند أول الشارع .

الأم : مسكين يا بني . لكم يصعب علي أن أراك في هذه الحال . ما رأيك في اقتناء سيارة صغيرة تريحك من عناء المشي وحرارة الجو اللاهبة ؟!

سمير : «يضحك» سيارة وآنى لموظف بسيط مثلي المقدرة على اقتناء سيارة ؟! (إيه) حيث يتوفر المال يا أماه تتوفر السيارة .

الأم : السيارة ! المال موجود يا بني فلا تفكر فيه .

سمير : (يضحك) وأين هو؟ بالله لا تسخري يا أماه ! دعيني لحالي واتركيني أستريح من هذا الجو الخانق .

الأم : إنني جادة في كلامي ، وقد قررت بيع المنزل لتقتني سيارة وما بقي منه يمكن أن نزوجك به .

سمير : (في غضب) مستحيل . مستحيل أن نبيع دارنا الوحيدة من أجل سيارة وزواج .. هذه أنانية أتريدين «نوال» تقيم الدنيا وتقعدها علينا ؟! إنها شريكتنا في هذا البيت ، ثم إن إيجار البيت السنوي الآن زاد ونحن في حاجة إليه .

الأم : هدىء من روعك يا بني فـ«نوال» موافقة وهي أختك وأنت أصبحت رب أسرتنا والعائل الوحيد لها .. ثم إنني قد أتممت صفقة البيع مع جارنا الشيخ «محمد» .. ولم يبق سوى الإفراغ له في المحكمة واستلام البيت .

**سمير :** ما دام هذا قرارك فلا بأس، ولكنني رجوتك تأجيل الزواج لأنني ما أزال صغيراً، ولست بقادر على تحمل أعباء الحياة الزوجية.

**الأم :** قلت لك لا تخالف أمري، وسأبحث لك منذ اليوم عن عروس تليق بك.  
المهم أن تحضر السيارة ودع الباقي لي.  
**سمير :** سمعاً وطاعة يا أماه.

ورغم أن سمير لم يقتنع بالفكرة التي عرضتها أمه عليه، وخاصة موضوع الزواج لأنه يشعر أن راتبه الضئيل لا يكفي لتحقيق حياة سعيدة هائلة مع زوجته، ولكنه لا يستطيع أن يفرض شخصيته على أمه لقد سلبته إرادته منذ صغره إنها تأمر، وعليه أن يطيع وينفذ.

وأحضر السيارة وأحس بالغبطة والنشوة وهو يمسك بمقود السيارة، وكأنه أحد أبناء الذوات، وأخذ زملاؤه في العمل يعاملونه في لطف وأدب وتقدير بالغ حتى يتاح لهم مشاركته في ركوب السيارة بدلاً من حافلة الموظفين الضخمة وجوها الخائق المزدهم، وسائقها التكد العابس الذي يأتي يوماً ويغيب آخر وكأن الحافلة ملك له.. وأحس «سمير» أن السيارة أكسبته شخصية أخرى فهو محبوب بين زملائه، الكل يسعى لإرضائه وتقديره وتمادى في كرمه وبدأ يدعو الأصدقاء لنزهة إلى البحر، أو إلى مقهى خارج البلد، ولكن راتبه الضئيل لا يكفي لسد نفقات الأسرة ومتطلبات سيارته. وبدأ يعمل فكره. إنه لا يريد أن يظهر أمام زملائه بالعجز حتى لا يخسر صداقتهم، ووجد الحل فما يزال في البنك مبلغ كبير من قيمة الدار فلماذا لا يسحب جزءاً منه دون أن تشعر والدته.. ونفذ المخطط الذي ارتضاه لنفسه ظناً منه أنه لن يكون أوفر حظاً من أبيه، فالمنية سوف تأتيه بغتة في ريعان شبابه، وعمر الشباب في الحياة قصير لا يعوض أبداً...

وبدأ ينفق في سخاء مع أصدقائه وسهراته، وأحسّت الوالدة الذكية أن ابنها يلعب بالنار، وأنها لو تمادت في السكوت فقد يخسر كل شيء، المال والزواج، وربما الوظيفة. وواجهته بالحقيقة، فاعترف في الحال وسلّم لها ما بقي من النقود، وحمدت الله أن ما

سحب ضئيل . وبدأت تفكر جدًّا في البحث عن فتاة تليق به، ووجدت ضالتها المنشودة . إنها فتاة رائعة الجمال . رأتها يوماً تذاكر مع ابنتها فأعجبت بها ، وانتهزت يوماً فرصة زيارتها لهم وأرتها لـ «سمير» من ثقب الباب، وفتن بها وأعجبته، وبدأ الحب يغزو قلبه . . ولم يعد يفكر إلا في «ناهد»، الإنسانة التي رآها عن قرب وأشعلت نار حبه . إذا ما تأخرت يوماً عن المذاكرة مع شقيقته أسرع بسيارته يحمل أخته إليها لتطمئنه عليها . إنه يريد أن يسعد بجانبها لتقرّ عينه بها . . ومضت أيام وأيام ، ووالدته تحاول السعي من أجل الزواج . ولكن أسرتها طلبت التأجيل بدعوى أن ابنتهم ما تزال صغيرة السن ، وهو موظف بسيط، دخله لا يسمح بإعالة أسرته الكبيرة . وشعرت الأم بالحرج وأدركت أن أسرة الفتاة تطمح في زوج ثري مناسب . فأختها الكبرى تسكن في قصر منيف مع زوجها التاجر الثري ، ورغم كبر سنه إلا أنه يغدق عليهم الهبات والمال . و«سمير» لا تتوفر له هذه المميزات .

وصارحت الأم ابنها بالحقيقة، وأبلغته أنها ستبحث له عن غيرها . . ولكنه ثار وأرغى وأزبد ، ولأول مرة يشق عصا الطاعة على أمه، وأدركت أنه يحب الفتاة، وهذا شيء فوق قدرته وإرادته وبدأت تخطط لتحقيق أمنيته . ولم تترك وسيلة إلا وسلكتها وبدأت «نوال» تحاول من جانبها مع صديقها «ناهد» إغراءها بالزواج من أخيها . ووجدت استجابة طيبة من الفتاة، ف«سمير» شاب في مثل سنها، ويمتلىء حيوية ونشاطاً والمستقبل أمامه . ولكنها لا تستطيع أن تفتح أبوابها ، وحاولت التأثير على أمها لإقناع أبيها، وكللت جميع الخطط بالنجاح وزّقت «ناهد» إلى «سمير» .

وتحقق الحلم الجميل للزوجين وعاشا بضعة أشهر في سعادة ورفاهية، ثم بدأ الجو ينذر بالعواصف الشديدة، إنها الغيرة الحمقاء، غيرة الأم وهي ترى تعلق ابنها بزوجته الشابة وتفانيه في حبها ومراعاة شعورها .

إذا جاء البيت اتجه إلى غرفة زوجته ليمضي معها الوقت كله، لا تراه إلا عند تناول الطعام أو عند ذهابه إلى العمل ، حتى النزوات خصّ بها زوجها وحدها، ونادراً ما يفكر في اصطحابها وشقيقته معها، وبدأت المضايقات من جانب الأم تجاه الزوجة

والشكوى تنهال على رأس «سمير» الصغير من الجانبين . وبدأت الأم تحاول السيطرة على ابنها من جديد، مذكّرة إياه أنها ضحّت بشبابها من أجله ، متهمّة زوجته بالكسل والإهمال، وترك شؤون المنزل على رأسها وحدها، ونجحت الأم في إثارة ابنها نحو زوجته ، وبدأ الجو يتلبّد بالغيوم ولم تستطع الزوجة المقاومة وهي ترى خضوع زوجها لإرادة أمه المطلقة ، وانهارت مقاومتها وبدأت المشاحنات على أشدها تزداد يوماً عن آخر، وضاعت بحياتها، فالدنيا أمامها أصبحت حالكة السواد، وأقفلت على نفسها الباب، وانفجرت باكية .. فالمرأة لا تجد وسيلة تعبّرها عن آلامها سوى البكاء .

ودخل سمير البيت يوماً ووجد الجو مكفهراً .. وما أن فتح الباب حتى راحت الأم تكيل التهم جزافاً لزوجته ترغي وتزبد وتهدد وتوعد ، وارتمى الغضب على وجهه ودون أن يناقش الموضوع ويبحثه في تؤدة ويفكر فيه ، اتجه مباشرة إلى غرفة زوجته وسمع عويلاً من الداخل وأخذ يدق الباب في عنف ولم ينتظر فلكر الباب بشدة حتى فتحه ووجدها مستلقية على السرير تبكي في عصبية .

**سمير :** ناهد . ناهد . ما شاء الله . أتخسبن أنني أصدقك؟! . أما يكفيك ما صنعتها بأمي؟! .

**ناهد :** (تقول وهي مستمرة في بكائها) هل صدقتها يا سمير؟ إنها تعذبني تعذبني أرجوك ارحمني!!

**سمير :** أنت كاذبة . كاذبة . أمي لا تعذب أحداً إنك لا تضمرين لها أي حب .. لم يبق إلا أن تكون خادمة لك . إنها أمي .. أمي .. هل تسمعين؟ لن أسمح لك بعد الآن بإهانتها .

**ناهد :** من قال إنني أهنتها إنها تعاملني بخشونة وكأنني أمة لها أيرضيك هذا؟  
**سمير :** أما زلت تماطلين، أيمكن أن يحدث هذا من أمي ، أنت أنانية لا يهملك إلا نفسك ، لم تعودى تهتمين بالبيت تركت كل شيء لأمي ، قومي واعتذري لها وقبلي رأسها لكسب رضاها .

**ناهد :** (تضحك في هستريا) أعتذر لها أهذا معقول؟! بل هي التي تعتذر لي

فهي التي أساءت إلي .. إني مظلومة . مظلومة (وتبكي) .

سمير : إخالك قد جنت من أنت حتى تعتذر لك أمي . أراك قد جاوزت حدك .

ناهد : بل أنت الذي تجاوزت حدك إنني زوجتك ولي حقوق عليك ومن واجبك حمايتي من ظلم أمك .

سمير : كفى . كفى . لا أريد أن أسمع شيئاً وإلا حطمت غرورك وكبرياءك .

ناهد : (في سخرية) وماذا في وسعك أن تفعل أيها البطل الهمام .

سمير : سأريك الآن، خذي (ويضعها على وجهها صفحة قوية) .

ناهد : (تبكي) ثم تقول : أهذا جزاء صبري إنك جبان . جبان .

سمير : إياك أن تتماذي في إذلالي وإلا حطمت رأسك .

ناهد : لم أعد أحتمل حياتي معك بعد هذه الإهانة، وأولى بك أن تطلقني .

سمير : (يضحك في سخرية) ثم يقول «أطلقك» هذا من رابع المستحيلات .  
أتفهمين ؟

ناهد : إذاً اسمح لي أن أذهب إلى دار أبي فإعدت أطيق العيش في هذا البيت .

سمير : الباب أمامك مفتوح . اغربي عن وجهي هيا اغربي عن وجهي .

ناهد : أفهم من هذا أنك تطردني يا «سمير» .

سمير : أنت التي أردت هذا هيا غادري هذا البيت إلى غير رجعة هيا .

وتسرع «ناهد» بالخروج بعد أن ترتدي ملابسها، وموجة من الألم والحزن تعصف بها، فقد كانت الإهانة التي وجهت إليها كالخنجر المسموم وأدركت الأم فداحة ما ارتكبته من خطأ جسم في حق هذه الفتاة، وحاولت أن تصدها عن الخروج ولكن «ناهد» مرقت كالسهم لا تلوي على شيء . يصحبها الخادم الصغير إلى بيت أهلها وفي الغرفة الأخرى شقيقة «سمير» تحاول إخفاء دموعها وحسرتها على صديقتها «ناهد» فهي تدرك أنها مظلومة وأن الغيرة الحمقاء هي التي دفعت بأمرها لإثارة سمير ضدها، ولكنها تخشى أن تنبس ببنت شفة حتى تتقي غضب أمها . ورأت أن الصمت حكمة، ودفنت الآلام في صدرها . أما سمير فقد آوى إلى غرفته بعد أن أوصد الباب بالملزاج،

واتكأ على حافة النافذة يفكر في المصيبة التي حلت به ويحس بأنه ربما قد ظلم زوجته، إنه لم يترك لها فرصة الدفاع عن نفسها حتى يمكن أن يحكم عقله وفكره، فقد أعماه حبه لأمه عن كل شيء. وأجال طرفه في الغرفة إنها منسقة ونظيفة، كل شيء قد وضع في مكانه، فهل يعقل أن تكون زوجتي مهملة كما وصفتها لي أمي؟! لماذا لا تكون ناهد مظلومة؟ إنني ما رأيته يوماً تقصّر في واجبها المنزلي دائماً، أراها تشارك أمي كل شيء في هذا البيت.. أليس من المحتمل أن تكون تعباً من الحمل إنها في شهرها الثالث؟.

ونظر إلى كمّه الذي هوى به على وجهها الشاحب وتألم. إنها المرة الأولى التي ينقلب فيها إلى وحش كاسر. وبدأت الآلام النفسية تعصف به وأحس بنفسه كشجرة تتقاذفها الرياح والأعاصير لتقلعها من جذورها وتلقي بها في اليمّ أوفي مكان سحيق. ولم يعد يطيق البقاء في غرفته بل في الدار كلها واندفع خارجاً ليلقي بنفسه في سيارته ليقودها في سرعة جنونية غير آبه بتوسلات أمه، وفي الطريق ارتطمت سيارته بشاحنة نقل وكانت الصدمة قاسية وعنيفة، ونقل على إثرها للمستشفى وطار صواب والدته حين علمت بالخبر، وجنّ جنونها وأسرعت على الفور إلى المستشفى فوجدت ابناً فاقد الوعي لا تكاد ترى وجهه من الأربطة التي أحاطت برأسه الصغير، وأنين خافت يخرج من شفته يردد «ناهد». «ناهد». واقتربت الأم والدموع ملء عينيها، إنني السبب في كل هذا، ما أشدّ قسوتي وظلّمي. يارب سامحني واغفر لي خطيئتي.. فلولا إثارتي لابني ضد زوجته ما وقع هذا الحادث الأليم.. يارب سامحني إنها الغيرة. التي أعمتني وقادتني إلى الانتقام. وتبكي الأم في حرقة وتحاول أن تفكر في إعادة المياه إلى مجاريها ولم تجد وسيلة غير الذهاب لـ «ناهد» لتنتقل إليها حادث زوجها وتعذر لها ولأسرتها علّ قلبهم يلين ويرتّب ويعود الصفاء والتآلف إلى القلوب بعدما أصابها التصدّع وأسرعت إلى أسرة زوجة ابنها ومعها بعض أقاربها ممّن عرفوا بالآثان والحكمة، ولم تشأ الأم إزعاجهم بحادثة ابنها وراحت تعتذر عمّا بدر منها تجاه زوجة ابنها واقتنعت الأسرة بما أبدته الأم من أسف عميق كان ينبعث من قلب صادق.. ولكن ناهد! ما يزال الشك يساورها فراحت تبكي وأقبلت عليها أم «سمير» تضمّها إلى

صدرها وانطلقت دموعها المحبوسة تسيل على خدّاه، وهمست في أذن «ناهد» في صوت ينم عن حزن عميق:

**الأم :** صدقيني يا ابنتي إنني أتالم لإساءتك وقد أدركت فداحة خطئي .. مسكين «سمير» لقد كان الضحية (وراحت تبكي) .  
**ناهد :** ضحية إن قلبي يحدثني أن «سميراً» قد وقع له حادث .  
**الأم :** (تواصل استمرار البكاء) ثم تقول إن حدسك في محله . «سمير» في المستشفى يا ابنتي .

**ناهد :** (في فزع) مستشفى يا إلهي ماذا حدث له ؟!  
**الأم :** لقد اصطدم بشاحنة نقل وهو الآن فاقد الوعي .  
**ناهد :** (تبكي ثم تقول ) مستشفى .. فاقد الوعي .. أسرعوا بي إلى المستشفى أريد أن أراه . مسكين يا حبيبي سمير (وتواصل استمرار البكاء) .

وتمضي الأسرة كلها إلى «سمير» ولكنه مازال يعاني من آثار الصدمة العنيفة .. كانت عيناه شاخصتين إلى سقف الحجرة، وصوت خافت يخرج من بين شفثيه يردد مظلومة مظلومة . وتقبل عليه زوجته والحزن باد على محياها، وأطرافها ترتعش بينما وقفت أم سمير بجانبها، ودموع ساخنة تجري على وجنتها وتطلع سمير إليها ولم تصدق عيناه ما رأى وبعثت هذه المفاجأة السعيدة في نفسه نشوة الحياة وهبتها، وأحس بأنه قد ولد من جديد فما أجل عودة الصفاء والحب والتعاطف والتسامح بين أفراد الأسرة الواحدة .

==





نی جیس



## نرجس

كانت في الخامسة عشرة من عمرها، تعيش في إحدى قرى الهند الآمنة .. أرسلتها أمها يوماً إلى عمتها لتحضر لها غربالاً. واختارت أن يكون طريقها من الحقل، فهو أقرب إلى بيت عمتها، كانت تغني في مرج وخيلاء .. وفجأة انقض عليها من بين الأشجار رجلان وضع أحدهما على وجهها منديلاً من النوع الذي يستعمل للتخدير بينما الآخر راح يوثقها بحبل. ولم تستطع الفتاة أن تبدي أية حركة .. فقد نفذ المخدر إلى أعماقها وأغمي عليها وحملت في سيارة جيب كانت تقف على جانب الطريق. وانسلت السيارة بها عبر الطريق ولم تشعر الفتاة بنفسها إلا في وسط سفينة حقيرة تمخر عباب البحر. وأصابها الحيرة فأخذت تبكي في حرقه وخشي الرجل الذي يصحبها أن يفتضح أمره، فهددها بالقتل والقاء جثتها في اليم إن هي كشفت عن سرّها، أو أباحتها لمخلوق.

وعزّت عليها الحياة بعد أن أدركت بشاعة الموت التي ينتظرها .. وفتاة صغيرة في مثل سنّها من الصعب أن تقاوم .. حتى الدموع حرّمت عليها، فقد كانت أعين الرجلين اللذين اختطفها كافية لتجمد الدموع في مآقيها. واستجابت لحكم القدر، وحاولت أن تنام لتستريح من آلامها .. بيد أن الخوف الذي سيطر عليها جعل النوم يحافي عينيها. وأخذ أحد الرجلين يهدىء من روعها ويطمئنها بأنها لن تمس بأذى أو ضرر، فالمحافظة على حياتها أشد ما يحرصان عليه وإلا ضاع كل ما بذلاه من جهد واقترب منها الرجل وسأها:

شابو: هل يمكن أن أتعرف على اسمك يا صغيرتي العزيزة؟

الفتاة: وماذا يفيدك هذا ..؟

**شابو :** لا تنزعجي يا فتاتي الصغيرة .. فأنا منذ اليوم سيدك .. هل تفهمين ؟  
**الفتاة :** سيدي !! ( في استغراب ) .. بل أنت لص حقير سافل سوف تنال جزاءك إن عاجلاً أو آجلاً .

**شابو :** ( في غضب ) لو كررت هذا القول مرة أخرى ألهمت جسمك بهذا السوط ها هو .. انظري . ضربة واحدة منه تكفي لإيلامك أسبوعاً بأكمله .

**الفتاة :** يبدو أن الرحمة قد نزعت من قلبك .. أليس لك بنات في مثل سني ؟ !  
ألا تخشى أن يقبض عليك بتهمة اغتصاب وسرقة فتاة صغيرة مثلي .. ؟  
**شابو :** ( يضحك ) أنا لا أملك غير الجواري يا صغيرتي .. وهذه تجارتي ..  
أفهمت الآن مركزك يا فتاتي .. أقصد يا جاريتي العزيزة ..  
( خاتون ) ؟ ! هذا اسمك الجديد طبعاً الذي اخترناه لك .

**الفتاة :** يالك من وغد سافل .. أتسرقتني لتجعل مني أمة تباع وتشترى .. ؟ !  
لئن فاتك العقاب في هذه الدنيا فإن الله لك بالمرصاد يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

**شابو :** يالك من فتاة غرة مغرورة .. خذي فقد يغيرك هذا .. ( ويلهب جسدها بالسياط ) ..

وقد سمع صوت السياط ..

**زميل شابو :** ( يفتح الباب ) أجننت يا « شابو » حتى تضرب الفتاة .. أنسيت أن أثر الضرب قد يقلل من ثمنها أو ينفر المشتري منها .. ؟

**شابو :** لقد أثارت أعصابي يا صديقي ، وبودّي لو ألقيت بها في اليم لتكون طعماً للأسماك المتوحشة .

**زميل شابو :** ها هو الأكل .. دعها تتناول العشاء معنا .. هيا يا خاتون تناولي عشاءك معنا ..

**خاتون :** إن نفسي تعاف طعامكم القذر أيها السفلة ، وخير لي أن أموت جوعاً من أن أذوق لقمة واحدة من هذا الطعام .

زميل شابو: دعها يا «شابو» الآن.. فالجوع كافر وخاصة في مثل هذا الجو  
الرهيب وستجد نفسها مرغمة على أكله شاءت أم أبت.

وتأبى الفتاة المسكينة أن تمد يدها إلى هذا الطعام.. إلا أنها تحس بالجوع يفري  
معدتها وينتابها دوار البحر بعد هبوب رياح شديدة جعلت السفينة تتأرجح..  
وتضافرت عليها آلام الجوع والفرع الشديد، وانتابها دوار البحر حتى كاد يفقدها وعيها  
ولم تحتمل فامتدت يدها إلى القصعة الحقيمة لتلتهم ما تبقى فيها من طعام، بينما راح  
«شابو» وزميله يتها مسان وعلى وجهها ابتسامة النصر والفوز بهذا الصيد الثمين، وأحسّت  
الفتاة بضعفها فهاكت على سريرها الحشن وأغمضت عينيها واستسلمت لنوم عميق،  
بعد أن أرهقتها السهر الطويل، والرحلة المضنية والتفكير في المصير المظلم الذي  
ينتظرها. وأفادت من نومها في اليوم التالي ونظرت حولها فرأت «شابو» وزميله يغطان  
في نوم عميق.. فانتصبت قائمة وانسلت تزحف في بطن نحو الباب علّها تجد نسيم  
الحرية، أو قلوباً رحيمة تنقذها من هذا العذاب الذي تعيش فيه.. ولكنها ما إن  
بلغت باب الغرفة وحاولت فتحه حتى انبعث صوت صفير الباب مما جعل «شابو»  
يقفز من سريره ويركض خلفها ولحقها عند شرفة السفينة. ونظرت الفتاة حولها ولم  
تجد غير أمواج تتلاطم كالجبال. وراودتها نفسها أن تتخلص من هذا العذاب المهين  
وتلقي بنفسها في جوف البحر الصاخب.. ولكنها أحسّت بالرهبة والخوف وسرعان ما  
أحسّت ببرودة تسري في مفاصلها، وانتهر «شابو» فرصة شرودها فشدّها داخل  
الحجرة من جديد بينما كان زميل شابو يلوح بالسوط الجلدي في يده، وألقت بنفسها على  
سريرها تبكي في حرقه ومرارة، ودنا منها «شابو» وراح يطيب خاطرها ويعدّها  
بالانفكاك من هذا الأسر عن قريب، فلم يبق سوى أيام قلائل، وترسو السفينة عند  
أقرب ميناء حيث تجد كل الراحة عند سيدها الجديد الذي سوف يتقدم لشرائها،  
وغالباً ما يكون هذا المشتري من ذوي الثراء ممن يملكون القصور الفاخرة والرياش  
الجميلة، وهناك تجد النعيم والسعادة في كنف هذا السيد الثري. وإنها لن تستطيع أن  
تفعل شيئاً فجواز سفرها والوثيقة التي بيدها تثبت أنها أمة، لملكها الحق في بيعها  
وشرائها، وألقى إليها بالجواز والوثيقة فتطلعت إليها مشدوهة فكل ما ذكره «شابو»

صحيح لايقبل النقض وأنى لها أن تثبت أنها حرة لأمة وليس بيدها ما يثبت هذا؟! . وأحسّت بغصة وحرقة وراحت تبكي وتتوسل لشابوأن يطلق سراحها. وأسرتها على استعداد لفدائها بكل ما تملك .. ولكن توسلاتها ذهبت أدراج الرياح فإن مثل «شابو» ومن على شاكلته قد قدّ قلبهم من صخر، ونزعت منه كل رحمة إنسانية . ولم تجد بدءاً من الامتثال للواقع المرير ورفعت يدها إلى السماء .. «يارب» .. أنت وحدك قادر على إعادة حريتي وإنقاذي من هؤلاء المجرمين المتاجرين بحرية خلقك .. «واندفعت تبكي» .. وهكذا شاءت الأقدار أن تتحول الفتاة الحرة «نرجس» إلى «خاتون» الأمة تباع وتشترى في أسواق العبيد . وكان جمالها الذي تتمتع به يرفع اسهمها إلى ثمن باهظ . ورغم انتقالها من سيد لآخر .. إلا أنها استطاعت أن تحافظ على نفسها، وكم ذاقّت مرّ العذاب وهوانه على أيدي سادتها . ولكنها لم تستسلم .. فقد قاومت في عنف وشراسة كل من تصدّى لها . ولكن الأقدار رأفت بحالها .. فاشترها سيّد عربي وأحسن معاملتها وأكرم وفادتها بعد أن عرف منها قصة حياتها . ووجدت «نرجس» العطف والحنان في كنف سيدها الجديد، فأخلصت في خدمته وسهرت على راحته، وحين أعلمها سيدها بأنه ينوي الرحيل إلى أرض النور الخالدة .. إلى «أم القرى» لتعيش في رعاية أسرته «بمكة» .. تهلّت أسارير وجهها فرحاً وغبطة . فكم كانت تمنى من أعماق فؤادها أن ينعم الله عليها بالزيارة والحج لبيت الله الحرام .. وهاهي الفرصة قد واتتها لتكون في كنف الرجل الطيب الصالح الذي أنقذها من برائن الأوغاد المتاجرين بالحرية، وسجدت لله شكراً على نعمائه .. ومضت مع سيدها تغمرها السعادة والفرح وما إن صافح بصرها رؤية أم القرى «مكة المكرمة» حتى انسابت الدموع من عينيها فما كانت تتصور أنها يوماً ما ستسوقها الأقدار إلى هذه الأرض المقدسة وهي في ريعان شبابها لتصورها بأن من يأتي حاجاً إلى هذا البيت الحرام لا بد أن يكون قد بلغ من الكبر عتياً .

ورنت ببصرها إلى السماء لتشكر خالقها على ما حباها من حنان وعطف وحب وخلاص من الأسر والعبودية، ولكن هذه السعادة والغبطة لم تدم إلا قليلاً .. فما إن رأتها زوجة الشيخ «سعيد» حتى انفجرت في زوجها صائحة :

**الزوجة :** ما هذا يا سعيد ..؟ أمن أجل هذه الأمة طالت غيبتك .. أنسيت أن لك أسرة وأولاداً ..؟ هيا اطردها حالاً .. من المستحيل أن تبقى هنا دقيقة واحدة ..

**سعيد :** هدئي من روعك يا أم «خالد» .. إنها فتاة مسكينة لا أهل لها ولا وطن ولو أسمعتك قصتها لرثيت لحالها .. إنها فتاة حرة سرت وبيعت كأمة . وقد اشتريتها لأنقذها من محنتها وكرها .

**الزوجة :** ( تضحك في هستريا ) واعجباه !! .أتحسبني ساذجة وغبية لهذا الحد ، حتى أصدق ما تدعيه،( ثم تقول في غضب ) هيا دعها ترحل حالاً أو تصرف في بيعها،المهم ألا تمكث هنا في هذا البيت ثانية واحدة .

**سعيد :** أقسم بالله يا أم «خالد» أنني صادق في كل ما ذكرته لك عن هذه الفتاة،فحرام أن تظني بها سوءاً . إنها فتاة غريبة وهي أولى الناس بعطفك يا أم خالد .. ارحوا من في الأرض يرحمكم من في السماء ..

**خاتون :** ( تبكي ) إنني إنسانة مغلوبة على أمري يا سيدتي .. أنا أمتك يا سيدتي وفي خدمتك وطوعاً لأمرك رجوتك أن تقبليني وسوف تجدين مني كل ما يسرك ويرضيك .. ( ثم تبكي ) ..

**الزوجة :** ( في تأثر ) لا حول ولا قوة إلا بالله .. لست أدري ماذا أنا فاعلة انصرفي يا بنتي الآن إلى المطبخ والله يتولانا برعايته ..

**خاتون :** شكراً لك يا سيدتي .. والله يجزيك كل خير ..

**سعيد :** شكراً لك يا زوجتي العزيزة .. وثقي أن الله سوف يجزل لك ثوابه فوالله ما رأيت بؤساً في مثل حالها . تصوري أنني عرضت عليها العتق ولكنها أبت أن تفارقني خشية أن تقع في أيدي مجرمين آخرين يسومونها سوء العذاب .

**الزوجة :** الحق أن قصتها دامية وتستحق الرثاء والشفقة . ولكنني بصراحة أخشى على «خالد» .. إنه شاب يافع وهي تتمتع بجمال صارخ وهذا ما يخيفني ويؤرقني ..

**سعيد :** اطمئني من هذه الناحية يا أم خالد .. فكم من سيد حاول أن ينال منها



ولكنها قاومت في عنف وضراوة حتى بخس ثمنها ولم يعد مخلوق يطمع في شرائها.

**الزوجة :** على أية حال فخالد مرشح في بعثة دراسية إلى الخارج بعد شهرين وهي مدة قصيرة وسأحاول من جانبي مراقبتها.

**سعيد :** أنا واثق أن خالداً أعقل من أن يفكر في أمة.

وعادت نضارة الحياة إلى محيا «نرجس» بعد أن زالت السحب الكثيفة التي كادت أن تعصف بحياتها، وتلقي بها في خضم متاعب الحياة من جديد بعد أن شعرت بالأمن والاستقرار، وبدأت تتفانى وتخلص في خدمة هذه الأسرة وبدأ الجميع يعطف عليها ويولونها رعايتهم، وكأنها فرد منهم لأمة، تقوم بشؤون خدمتهم، تشاركهم طعامهم وتتحلى بأزهى الملابس وأفخرها. حتى بات من لا يعرف حقيقتها يخالها فرداً من أفراد هذه الأسرة. وأضفى عليها هذا الحب والحنان الدافق بسطة في الجسم وخفة في الروح وروعة في الجمال.

وشعر خالد بميل نحوها وحب عظيم تجاهها.. وحاول أن يصارحها بما يختلج في فؤاده ولكنها حاولت أن تتجاهل وتتغابى حتى لا تسيء إلى من أحسن إليها رغم أنها تشعر أنها تبادله نفس الشعور والحب.

وسافر «خالد» إلى الخارج لإكمال دراسته وفي قلبه حب كبير لـ «نرجس».. الإنسانية الطاهرة العفيفة.. وودعته «نرجس» وقد تجمدت دموع ساخنة في مآقيها.

واستمرت في رعاية هذه الأسرة تخدمها في إخلاص منقطع النظير وفاء منها لهذه الأسرة الطيبة. أما «خالد».. فلم يستطع أن يكبت حبه نحو «نرجس».. فصارح والديه في رسالة مطوّلة بكل شيء وأشفق والداه على «خالد» ما يعانیه في غربته.. وماذا يقول الناس لو تزوج «خالد» من أمة..؟

إنه سيكون أضحوكة ومضغة في كل الأفواه.. ولكن «نرجس» فتاة حرة وتتمتع بقسط كبير من الجمال ودمائة الخلق واشتدت بها الحيرة والقلق.. وجاء المرسوم

الملكى الذى أصدره الفىصل العظمى يعتق كل من بحوزته مملوك .. فما أعظم الحرية وأقدسها .. إنها أثمر ما فى هذه الحياة . وفى فرحة بالغة أقبل الوالدان يزقان إلى «نرجس» النبأ السار الذى صدر من ملك عادل يقّس الحريات ويمقت العبودية، وفى صوت ممزوج بالفرح والدموع قالت «نرجس»: ومن قال إننى لست حرة .. لقد شعرت بكامل حرىتى منذ أن وطئت قدماى عتبة هذه الدار ..

وأجابها الشيخ «سعيد» فى هدوء .. ليس هذا كل شىء يا ابنتى .. فإن ما أريد أن أصارك به الآن رغبة ابنى خالد فى الاقتران بك .. فما رأيك ..؟

وأذهلتها المفاجأة .. التى لم تكن تتوقعها، وعقدت لسانها وانهمرت عيناها بالدموع .. إنها دموع الفرح بيوم الخلاص التى أتاح لها حرىتها وتحقيق أعز أمنياتها وأحلامها ..





الحق في العالم الأعمى



## المفاجأة الأخيرة

أحسّ الثري الشيخ «سعيد» بأن الأيام تمضي به سراعاً بعد أن هذه المرض وأقعده عن عمله، ونظر إلى ثروته الطائلة التي كونها بعرق جبينه، وليس له من يرثها سوى ابنه الشاب «عادل» وأحسّ براحة نفسية تملأ جوانبه، لأنه سيموت راضي النفس بعد أن أمّن لفلذة كبده وأسرته كل شيء..

ولكن يا ترى أيستطيع «عادل» أن يدرك مدى المتاعب والآلام التي تجشمتها في سبيل تأمين هذه الثروة..؟ ورأى من الحكمة أن يلقن وحيدته درساً في الحياة حين أحسّ بشبح الموت يدنو منه.. ووسط موجة الألم والحزن استمع «عادل» إلى أبيه وهو يحدثه في صوت ممزوج بالحسرة والألم، قال:

لا أحسب هذه الدنيا يا بني إلا دار فناء، والآخرة دار بقاء، وكل نفس ذائقة الموت، وإنني لأشعر أن نهايتي قد اقتربت، وقد تركت لك ثروة لا تقدر بثمن تكفيك مدى الدهر.. أوصيك قبل كل شيء بتقوى الله في السر والعلن، والرحمة والرأفة بأسرتك، والحب والعطف على الفقراء والمساكين والمعوذين.. فإياك أن تحرم فقيراً من صدقة منحتة إياها.. وحذار من الغش في تجارتك، واختر لنفسك من الأصدقاء أكثرهم تقوى وأرجحهم عقلاً، وأبرهم بالفقراء وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن مسالك الشر. وعليك بكل ذي خلق ودين..

أما زوجتك الوفيّة.. فهي سراج بيتك.. فأوصيك بها خيراً فهي نعم من رأيت تقوى ووفاء وأمانة وإخلاصاً وحباً لك.. والله يوفّقك ويهديك سبيل الحق والرشاد.. وأغمض جفنيه بعد أن شعر براحة نفسية تملأ جوانب نفسه، وجزع «عادل»، إنه يحب والده حباً عميقاً.. فاقترب منه قائلاً: لا تقل هذا يا أبي.. يا أعز أب في هذا

الوجود، إنها وعكة بسيطة وستزول حالاً.. وينظر إلى أبيه فإذا به يعاني سكرات الموت.. يعلو صدره وهبط حتى أسلم روحه لبارئها..

ونشر الحزن أعلامه السوداء القائمة على الأسرة كلها.. والأصدقاء والأوفياء، وكان أشدهم حزناً على فراقه زوجة «عادل».. فقد كان رحمه الله بالنسبة لها صمام الأمان، الذي حماها من عبث «عادل» وطيشه.. وهكذا تنفس الشيخ التقى الورع آخر نفس له في حياته بعد أن لقّن ولده درساً يضمن له السعادة، إذا سار على نهجه ونسج على منواله.

ومرت الأيام بطيئة قاتلة.. ثم بدأت سحابة الحزن تنحسر رويداً رويداً عن هذه الأسرة الحزينة.. أما «عادل» فقد وهب كل وقته في بداية الأمر لتجارة أبيه ورعاية شؤون المنزل.. ولكنه سرعان ما مل هذه الحياة الرتيبة، وهو يرى الأموال تتدفق عليه كالسيل المنهمر. وبدأت رؤوس الشر المتوثبة المتمثلة في قرناء السوء تطل من جحورها تنتظر الساعة الحاسمة التي يرون فيها «عادلاً» وقد مل حياة العمل.. وبدأت عزيمته تخور وتضعف.. وواتتهم الفرصة، فأقبلوا على «عادل» في مسوح الرهبان.. وبدأوا ينسجون خيوط مؤامرتهم الدنيئة حوله، يريدون انتشاره من حياة العز والرفاهية إلى حياة الوحل والرذيلة.. وأثمرت مؤامرتهم فلم يكن «عادل» يحسّ بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، أو يدرك الشقاء والعذاب الذي قاساه والده في سبيل تجميع هذه الثروة.. لقد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب. وبدأ «عادل» يستجيب لنزوات قرناء السوء، يبذر ما وهبه الله من مال، ويبعثه ذات اليمين وذات الشمال على سهرات أصدقاء السوء. ولم يكتف بهذا.. بل راح ينظر إلى الأفق البعيد حيث الليالي الحمراء في ملاهي باريس وروما..

وحاولت زوجته المسكينة ذات الجناح الكسير أن تثنيه عن عزمه، وتحاول نصحه ولكن كل جهودها ذهبت أدراج الرياح.. وظل عادل سادراً في لهو وغية، يسير في ركب زمرة الشيطان من أصدقائه ممن لا يردعهم ضمير أو يحول بينهم رقيب. حتى أصبح «عادل» فارسهم المقدم ينفق الأموال بغير حساب. وانخرط في الرذيلة يقضي

ليله الطويل على موائد الشر، والغواني الحسان ممن لا هم لهم إلا ابتزاز الأموال .

وجرف تيار الفساد في نهم كل ما جمعه له والده من ثروة .. ووجد نفسه بعد بضعة أشهر من الإفراط في حياة الترف والدعة قد أصبح خالي الوفاض لا يملك في يده إلا تذكرة العودة إلى وطنه وبضعة نقود تافهة ..

ووصل أرض وطنه الغالي كسير النفس والفؤاد .. لا يدري كيف يلقي زوجته الوفيّة وأطفاله بعد أن ساءت حاله . وكان لقاء عاصفاً في بيت أسرته .. واستطاعت الزوجة العاقلة أن تدبر أمور نفسها في البيت الكبير الذي تسكنه بعد أن أهملها وأطفالها زوجها العابث .. فأحالتة إلى شقق واتخذت لها شقة فيه لسكنها هي وأطفالها، تنفق على البيت من دخل هذه الشقق الشهري .. ووجد عادل القصر الكبير وهو كل ما تبقى من ثروته وقد أحيل إلى صورة أخرى .. وخالجه الشك في أن يكون هذا القصر قصره ولكن الزوجة سرعان ما تعرفت عليه .. فبعثت إليه بأحد أبنائه يرشده إلى الطريق .. ولم يصدق أن أكبر أولاده «سمير» قد نما واشتد عوده، وجالت الدموع في عينيه وتمتى ساعتها ألا يكون له وجود في هذه الحياة .. حتى لا يروه على هذه الصورة المحزنة ..

وعرفت زوجته بقصته كلها .. ولم تحاول أن تثير كوامن الألم والحزن بعد أن رأت ملامح اليأس والحزن البادية على محياه .. فأخذت تهديء من روعه وتطلب منه أن يبدأ الحياة من جديد معتمداً على ساعده وعزيمته وشبابه الغض ..

ولم يصدق «عادل» أن تقف منه أم أطفاله هذا الموقف الكريم الذي يدلّ على الوفاء والحب والإخلاص، وما تتمتع به من رحابة صدر وسعة أفق ورجاحة عقل .. وأحس أنه أمام امرأة عاقلة حكيمة؟ وشعر بالندم على إهماله لها وإساءته إليها وعدم إشراكها في الرأي، وشعر أنه يحبها ويحترمها أكثر من أي وقت مضى .. وتراكت أمام عينيه أشباح الماضي البغيض وأصدقاء السوء الذين كانوا يتظاهرون له بالإخلاص والوفاء وهم بعيدون عنه حتى أحالوه إلى حطام .. وصمم على الكفاح وبناء حياته من جديد بعد أن أحسّ بطعم الحرمان والبؤس والشقاء .. ووجد من



زوجته المخلصة التشجيع لما رسم لنفسه من خطط .. ورأى من الخير له أن يبحث له عن عمل .. ولكن في غير هذه المدينة التي كانت منبت عزه حتى لا تصدمه أعين من كان يتعامل معهم من التجار لتزيد من حسرته وقد تقضي على طموحه ..

إنه لا يزال في عنفوان شبابه ، وقد أحسن والده تعليمه وتثقيفه .. ولو قدر الحياة لوصل في تعليمه إلى مرحلة التعليم الجامعي .. ولكنه وصل إلى مستوى المرحلة الإعدادية ، وهي شهادة تؤهله على الأقل لوظيفة كتابية في دائرة حكومية أو في محل تجاري ، ولو أنه يفضل العمل في محل تجاري بحكم الخبرة التي اكتسبها بعد أن أدار محلات تجارته التي ورثها .. ووجد أن أنسب مكان له .. الرياض .. عاصمة وطنه الكبير .. فهي مدينة زاخرة بالحياة وبالتطور والتقدم في شتى مجالات الحياة .

وبين الدعوات والدموع ، ودّع زوجته وأطفاله وانطلق لغايته الجديدة من أجل العيش والتضحية من أجل الحياة ، تتراحم في مخيلته الآمال والأحلام .. يفكر في ماضيه اللامع ومركزه المرموق الذي أصبح أثراً بعد عين .. وتذكر نصيحة والده الخالدة وهو على فراش المرض .. وأسدل على ماضيه ستاراً كثيفاً ، وبدأ يجمع شتات فكره ويحيطه بغلالة من الواقع الألم .. وانبثق نور خافت بدّد ظلام المستقبل المجهول إذ وقّعه الله في أن يعمل كاتباً في أعظم محل تجاري يملكه أحد الأثرياء .. وحتى لا يسيء إلى والده التجاري انتحل له اسماً آخر عرف به فيما بعد «صالح بن سعيد» .

وأراد الله لهذه النفس التي تمردت وذاتت طعم الحرمان والشقاء أن تعود إلى صوابها .. فأخلص في عمله وأثبت كفاءة وجدارة بحكم خبرته في هذا الميدان .. وأعجب به رئيسه بعد أن رأى أمانته ووفاءه وحسن خلقه ولطف معاملته وأدبه وتمسكه بدينه وأداء الشعائر في وقتها .. فعينه في وظيفة أمين مخازن وأفرد له سكناً خاصاً يعيش فيه ، وكان يحرض «عادل» «صالح» — الإسم الجديد الذي اختاره لنفسه — أن يذهب لصلاة الفجر في المسجد المجاور لداره ، وأراحته حلاوة الإيمان .. وأخذ يستشعر عظم الذنب حين قادته أخطاء الماضي ونزوات الشباب إلى الطاعة العمياء للشيطان .. وأحس أنه ولد من جديد بعد حياة العذاب والكفاح .. وطلب من الله التوبة والغفران ..

وبدأ يرسل لأسرته نفقاتهم الشهرية وبعض الهدايا.. وكان سعيداً في عمله الجديد موفقاً فيه حتى أصبح مضرب المثل بالنسبة لزملائه.. وأخذ يتنقل من وظيفة إلى أخرى حتى أصبح مديراً لفرع محلات هذا التاجر الكبير.. وأرسل في طلب أسرته لتعيش بجواره بعد أن أثث لهم منزلاً لائقاً.. وسعدت الزوجة الوفية بالأبناء السارة التي كانت تصلها عن زوجها.. وطارت إليه مع أطفالها.. وكان لقاء حاراً محاً كل آثار الماضي البغيض.

وبدأ «عادل» يرتقي سلم المجد والرفعة.. حتى أصبح أمين سر صاحب المحلات التجارية يستشيريه في كل صغيرة وكبيرة.. إذ أدرك التاجر الكبير أن هذا الشاب على جانب كبير من الذكاء وسعة الاطلاع والمعرفة والخبرة بالمسائل التجارية. وبفضل أفكاره النيرة استطاعت تجارته أن تنمو وتزداد حتى أصبح تاجراً مرموقاً يشار إليه بالبنان.. واستطاع أن يفتح فروعاً لمحلاته التجارية في كثير من مدن المملكة.

وأحس التاجر الكبير بأن صحته في تدهور مستمر.. وأن المنيّة ستوافيه إن عاجلاً أو آجلاً.. وليس له أخوة يستطيعون أن يحملوا هذا العبء الكبير عنه.. فمن يرعى شؤون زوجته وأطفاله الصغار.. وفكر في «صالح» أو «عادل»، إنه الوحيد الذي يمكن أن يضع فيه ثقته ويختاره وصياً على زوجته وأولاده فهو إنسان مثالي نادر الوفاء، متدين مستقيم في سلوكه.. إنه الوحيد الذي يأمن جانبه.. وتذكر شيئاً مهماً كان قد نسيه.. فهذه التجارة الضخمة التي بحوزته الآن ليست ملكاً له.. وتذكر عقد الشركة الذي وقعه مع صديقه «سعيد بن شاهين» حين كان في جده.. وكيف استطاع هذا التاجر المحنك أن يزوده بالمال على أساس أن يكون شريكاً له في تجارته وقام في تناقل يفتح خزينته الخاصة ليخرج منها عقد الشركة الذي وقعه مع صديقه، ويبد مرتعشة راح يقرأ بنود العقد.. يا إلهي.. إنها تعطي لشريكي الحق في مناصفة كل ما أملك من محلات تجارية.. ولكن.. أين أجد صديقي الوفي «سعيد»؟ لقد مات رحمه الله ولا أعلم إن كان له ورثة يعيشون الآن في خضم هذه الحياة..

ترى لو قدر لي الموت.. ماذا يكون مصيري إذا أخفيت هذا السر..؟ لقد أنساني

جشع الحياة أن أتذكر صديقي يوم مماته .. فلا أسأل عنه .. يا إلهي كم أشعر بالندم على ما فرطت!! لا .. لا .. لا بد أن أخبر أمين سري «صالحاً» .. إنه من أهل جدة .. وربما عرف أسرة صديقي الذي أغفل الزمن ذكره .. بعد أن أضاع ابنه الخاسر كل ثروته وبددها كما وصل إلى مسامعي ..

واستدعى التاجر الكبير «صالحاً» ، وصارحه بما يعتمل في نفسه ، ورغبته في أن يكون وصياً وأميناً على أسرته .. ثم صارحه بالسر الذي كان يحتفظ به في خزنه الحديدية ولا يعلم به أحد ..

وأذهل النبأ المفاجيء «عادلاً» .. حتى كاد يغمى عليه .. فإن معنى هذا العقد أنه سيصبح شريكاً لهذا التاجر .. وشعر بغصة في حلقه .. هل يصارح هذا التاجر بأنه الرجل الذي يبحث عنه «ابن سعيد شاهين» صديقه القديم وشريكه في هذه الثروة الضخمة ..؟ وماذا يقول لو عرف الحقيقة؟ .. هل يثق به ..؟ هل يحترمه ويصدق ..؟ وأطرق رأسه مفكراً .. وعجب التاجر الكبير من امتناع لون أمين سره «صالح» .. فقطع عليه حبال تفكيره قائلاً:

أرجوك يا بني إنني أدرك ما تفكر فيه .. كيف أهب نصف هذه الثروة لشريك لم يدفع فيها سوى مبالغ بسيطة .. ولكن تأكد يا بني .. أنه لولا المبلغ الذي نفحنى به صديقي الوفي .. لَمَا أصبحت في هذه المنزلة التجارية المرموقة ..

أرجوك يا بني .. أن تدلني على أسرته لأهب لهم ما ورثوه عن عائلهم .. فهذا حق لهم ومن واجبي أن أرد لهم هذا الدين حتى ألقى ربي راضياً وشاكراً .. أرجوك يا بني ..

وفي حزن وألم .. راح «عادلاً» يسرد قصته على مسامع الرجل من البداية حتى النهاية وحتى يتأكد الرجل من صدقه .. أطلعه على حفيظة نفوسه الأصلية .. وكانت مفاجأة غريبة غير متوقعة .. وأحس التاجر الكبير براحة كبرى .. وحمد الله أن شريكه أهل للثقة والأمانة .. وقال: حمداً لله يا بني .. لقد كان درساً لك قاسياً في الحياة .. ولكن الله يجزي الصابرين خيراً ..





# همام

يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين .. مربع القامة .. حاضر البديهة .. سريع النكتة يجذبك بمنطقه السليم وأسلوبه العميق المقنع .. من رجال الأعمال الناجحين البارزين في المجال التجاري في داخل البلاد وخارجها .. تراه .. فيخيل إليك أنه أجنبي عن هذا البلد لحديثه المشوب بلكنة شامية ، وزيه الإفرنجي الذي يبدو به دائماً . وهو في الأصل ينحدر من سلالة عربية مجيدة ، من قلب الجزيرة العربية ..

أعجبني فيه كفاحه ومهارته الفائقة في التجارة .. قلت له كيف استطعت يا صديقي أن تحتل الصدارة في الميدان التجاري حتى أصبح اسمك يعرفه الداني والقاصي .. وأمست أسرتك لا تُعرف إلا بك فأنت كبيرها المفضل .. الحبيب إلى نفوسهم جميعاً لما تتصف به من إنسانية خالدة وحب كبير وتعاطف وود لأقربائك وأصهارك وموظفيك وخدمك ؟. وأحسّ بذكائه ما يدور بخلدني ، وما يعتمل فيه من رغبة في التعرف إليه عن كثب .. كيف بدأ حياته ومضى في دروب هذه الحياة الطويلة، حتى تهيأ له هذا المجد الكبير والسمعة الفائقة ، ووجدها فرصة سانحة ليغوص في أعماق الذكريات ، ذكريات الصبا والكفاح والجد الطويل .. وأطرق ملياً يفكر مستجمعاً كل قواه ليستذكر النضال المجيد في هذه الحياة ..

وعرفت أن جده كان واحداً من أبناء البادية الرحل الذين نشأوا على هذه الأرض الطيبة ثم هاجر إلى الشام ليتاجر فيها .. واستقرّ به المقام في إحدى قرى الشام النائية سعيداً مغتبطاً بالحياة التي يعيشها .. واقترن بفتاة من الشام أنجب منها والده الذي عاش رديحاً من الزمن وأنجب جيشاً من الأطفال الذكور والإناث .. وكان يأمل أن يعود إلى أرض الوطن ليساهم في بناء مجتمعه .. ولكن المنيّة وافته قبل تحقيق هذا الحلم الكبير ..

وعاش الأبناء في كنف أمهم الحنون التي بذلت كل ما تملك من جهد ومال من أجل تربيتهن وتثقيفهن وتهذيبهن .

وكان «همام» رغم أنه الابن الثاني في سلالة الأسرة .. إلا أنه تميّز بالذكاء الخارق اللامع، وأحسّ بالشوق والحنين إلى أرض أجداده بعد أن صافح سمعه ما وصلت إليه البلاد من رقي وتقدم ونجاح في شتى المجالات .. وأراد أن يشارك في بناء صرح الأجداد .. ولم يكن ما تجتمع لديه من مال يكفي للرحلة إلى مهبط الوحي، والبلد الآمن المطمئن، ليعيش في رحابه .. ويعمل في خدمته بكل أمانة وإخلاص .. ولكنه لا يملك الوسيلة للهجرة إلى موطن الأجداد .. واستطاع أن يجمع من كده وعرق جبينه مبلغاً من المال .. وجاء إلى موطنه الأصلي، كأبي غريب حاجاً إلى بيت الله الحرام .. وأحسّ بالأمن والهدوء والطمأنينة والرغبة الجامحة في الاستقرار، وتحسّس «همام» جيبه ليرى إن كان ما تبقى لديه من مال يتيح له مواصلة الحياة .. فوجد أن كل ما يملكه مبلغ ضئيل لا تزيد قيمته عن خمسمائة ريال وسأل نفسه هل يكفي هذا المبلغ لأعيش مواطناً حراً سعيداً في أرض الأجداد ..؟

وأعمل كل فكره .. باحثاً متطلعاً عن مهنة يختارها ليشق بها طريقه في هذه الحياة .. كانت المهنة الوحيدة التي حذقها «همام» في بلاد الشام «الكهرباء» وراقت له الفكرة وأعجبته .. فالعمران قد بدأ يشق طريقه قدماً إلى الأمام .. والبلاد في حاجة ماسة إلى الأيدي الفنية العاملة .. بدأ يبحث جدياً عن محل مناسب .. ووجد مكاناً صغيراً ملائماً في حي شعبي اختاره .. ولكن ما لديه من مبلغ سوف يستهلك في الإيجار وحده وأتى له بتدبير ما يحتاج إليه المحل من تأثيث وأدوات .. وآلات كهربائية؟! ووقفه الله إلى شيخ وقور تطوّع بأن يمدّه بالمال مقابل أن يكون شريكاً له في مكاسبه وأرباحه .. ووجدتها الفتى الطموح فرصة طيبة لتحقيق آماله .. وبدأ العمل الجدي فاشترى من الآلات الكهربائية أقواها وأجودها صنفاً وزود محله بصنوف مختلفة من ثريات الكهرباء .. واستأجر عمالاً وبدأ يدرهم على أعمال الكهرباء .. وكان يحاول أن يكون عمله متقناً جيّد الصنع مهما كلفه ذلك من ثمن ..

واستطاع أن يلفت إليه الأنظار بسمعته الطيبة وأخلاقه الدمثة ومعاملته الكيسة وصنعتة المتقنة.. وبدأ الكل يسعى إليه.. أصحاب الشركات المعمارية وذوو الأملاك ومتعهدو حفلات الزفاف.. وبارك الله في تجارته.. فأثمرت وآتت أكلها أضعافاً.. وبدأ رصيده ينمو ويكبر وأرباحه ومكاسبه تزداد يوماً بعد يوم.. وكان سعيداً في عمله يوزع أرباحه مناصفة بينه وبين شريكه الشيخ «عمار»..

ومضت سنوات وتجارته تنمو وتزداد.. كان سعيداً في عمله.. محباً له حتى أصبح محله ذا شهرة ذائعة الصيت.. وجاء يوم لقي الشيخ «عمار» شريكه في تجارته وجه ربه.. فحزن لمماته ودعا أبناءه لأن يستمروا في الشركة معه.. إلا أن أبناءه داخلهم الرّيب والشكوك في «همام».. ولكنهم لم يصارحوه بما في نفوسهم واكتفوا بمراقبته..

وذات يوم.. فوجيء «همام» بشركائه يطالبونه بتدقيق حسابات المحل بعد أن صارحوه بما في نفوسهم.. وأذهلت «هماماً» المفاجأة التي لم يكن يتوقعها.. وكانت صدمة قاسية لم يتوقعها من أناس بذل لهم كل إخلاصه وأمانته.. ورأى من الخير أن يفض الشركة في الحال.. وجيء بمحاسب قانوني لتصفية المحل وثبتت براءة «همام» ونزاهته.. وندم الشركاء على تصرفهم السيء تجاه الإنسان الطيب الذي خدمهم بكل إخلاص..

وطلبوا منه الصّفح والمعذرة.. ولكنه وهو العربي الحر.. أبى أن يستمر في هذه الشركة الخاسرة وفض عقد الشركة، وبدأ يعمل لحسابه الخاص.. وزاده الله سعة في الرزق.. وأصاب خيراً كبيراً وكان محبوباً من عماله وموظفيه لحبه وعطفه عليهم وبرّه بهم كلما جاد الله عليه بربح..

ولم ينس أسرته النائية.. فكان يغدق عليهم مما أفاء الله عليه من رزق وخير واسع.. وكان أحرص الناس على تأدية الحقوق والواجبات المفروضة عليه في صمت وبلا ضجة تجاه الفقراء والمساكين من جيرانه ومن يتعرف عليهم أو يدهم عليه أصدقائه..



وبدأ «همام» الشاب النشيط يتطلع إلى آفاق عليا تدرّ عليه مزيداً من الربح والرزق الحلال.. وتكسب بلاده سمعة طيبة في المجال الدولي.. ووجد المجال خصباً للعمل التجاري في أكثر من ميدان بعد أن زار بلداناً كثيرة في الشرق والمغرب واطلع بنفسه على مدى ما أحرزته هذه البلدان المتقدمة من تقدم في المجال الصناعي والتجاري.. وبدأ يرسم الخطوط العريضة لعمل مشروع ضخم يتفق وما يحس به من ميل ورغبة واستعداد.

وقبل أن ينفذ المخطط الذي رسمه.. بدأ يدرس مشروعه عن كثب.. ليزداد تجربة وخبرة متنقلاً من بلد لآخر.. ومن مصنع لآخر شهوراً طويلة، ثم عاد إلى بلاده، وقد امتلأ فكره الثاقب بمعلومات وافية عن مشروعه التجاري ورأى أنه من الخير أن يبدأ مشروعه على مراحل.. فاختار له محلاً مناسباً في إحدى الأحياء الراقية.. وبدأ ينفذ مشروعه في خطوات رتيبة منظمة، فبدأ ينتقي أجمل ما وقعت عليه عيناه من موديلات حديثة، يمكن أن تهىء للمنازل الأناقة والجودة والراحة واستطاع بما أوتي من لباقة في الحديث، وقوة في الاستمالة، والإقناع أن يبيع كل ما يستورده أولاً بأول وانهالت عليه الأرباح أضعافاً مضاعفة.. وأثار هذا النجاح المنقطع النظير حماس ذوي العقول المحدودة من التجار ممن لاهمّ لهم إلا التقليد الأعمى، والمنافسة في نفس الصنف الذي يستورده.. ولكن هذا لم يؤثر عليه ولم يثّر عزمته في التحول إلى نوع آخر في التجارة..

فكان يستورد ما ندر وجوده، مما لا يدركه إلا أصحاب الذوق الرفيع من عملائه ومحبيه، ورغم ما درّ عليه هذا العمل التجاري من أرباح خيالية، زاد من رصيد ثروته.. إلا أنه شعر بأنه لم يحقق بعد ما يطمح إليه من آمال ورغبات كبار، في هذه الحياة، إنه يحسّ بأنه أسعد الناس طُراً بين التجار من مواطنيه ولكنه يريد أن يقوم بعمل خالد، فيه النفع الكبير لوطنه ومواطنيه، إنه يؤمن بأن الثراء الواسع والإمكانات المادية، لا بد أن تسخر لمصلحة ما فيه خير وطنه ونفعه.. وإلا كانت أنانية ذاتية مزرية.. وما قيمة المال والجاه والثروة الطائلة.. إذا لم تستغل لما فيه رفاهية مواطنيه ورفعة بلده..؟

إن معظم المشاريع التي في بلاده تشرف عليها الدولة، وتنظمها، فهل هذا يكفي...؟ إنه لا تزال ثمة مشاريع أخرى، لها أهميتها.. يمكن أن يساهم بها الأثرياء، ممن أنعم الله عليهم بالمال الوفير، وهو واحد منهم، والدولة لا تبخل على أي مشروع.. بالمساعدة.. والمساندة... فلماذا لا يدعو ذوي الثراء للمساهمة معه في أكثر من مشروع وطني.. صناعي.. أو عمراني.. أو تجاري.. إننا لسنا أقل من غيرنا ممن سبقونا في الحضارة، والمدنية، تفكيراً في هذا المجال الخصب، الذي سوف نجني من خيره الكثير بالنسبة لنا ولمواطنينا..

وأعجبه الفكرة.. وتحمس لها.. بكل ما أوتي من قوة، وبدأ يخطط لها، ويضع أمامه أكثر من مشروع ويدرسه في اهتمام بالغ. أهمية المشروع، فوائده إمكانياته، مدى نجاحه، رأس ماله.. ووقع اختياره على واحد منها.. مشروع صناعي جبار.. وضع له خطوطه الأساسية، عن خبرة ودراسة مع الخبراء من رجال الأعمال العالمين..

وبدأ في نشاط متوثب، يدعو ذوي الثراء من أصدقائه، يساهم معه في مشروعه الجبار، وآله أن يجد الصّد والاعتراض وعدم الاقتناع.. الكل يخشى أن ينهار هذا المشروع، ويتصدّع، فلا تصيبهم إلا الخسارة الفادحة. فيضيع عليهم بعض ما اكتنزوه من برهات.. ولكنه لم ييأس، إنه واثق من نجاح مشروعه، ومدى نفعه، وفائدته لبلاده وامته وما يحققه من أرباح في المستقبل، وبدأ يوالي اتصالاته بالشركات العالمية التي يمكن أن يعتمد عليها في تمويل مشروعه الضخم، ووجد منها استعداداً طيباً، إنها على استعداد لأن تقبل مواطنيه وتدرّهم على الأعمال الفنية، وتجتد كل إمكانياتها الفنية، لخدمته، ووجد حماساً وترحيباً من أولي الأمر، في مساندته ومؤازرته، وأحسّ بارتياح عميق، وهو يرى نتيجة عمله المتواصل تؤتي ثمارها الطيبة.. وبدأ الأصدقاء من الأثرياء يؤمنون بنجاح المشروع، ومدى الكسب الكبير الذي سوف يحققه.. وعرضوا عليه أن يساهموا معه ولم يكن «همام» بالرجل الأناني، فأفسح لهم الطريق لمشاركته هذا العمل الوطني الكبير..

قلت له ، وقد رأيته في ساحة المطار يحمل في يده حقيبة ، وهو مهتلل الأسارير ،  
منشرح النفس راضي البال ، قرير العين .. إلى أين يا صديقي ..؟ قال وعلى محياه  
ابتسامة مشرقة .. إلى أوروبا يا صديقي لتحقيق الحلم الكبير الذي عشت ، أنتظر  
تحقيقه طيلة كل هذه السنوات ، قلت : لعلّ مشروعك الصناعي الكبير ..

قال : هو ذلك .. يا صديقي وأرجو من الله التوفيق والتداد .

وودعت المواطن الحر (هماماً) العامر قلبه بالحب الكبير ، لبلاده وأمته ووطنه ، وأنا  
أتمنى من صميم فؤادي أن أرى مثل هذه الروح العظيمة تسري في نفوس ذوي الثراء  
من مواطنينا لتحقيق لبلاذنا الحبيبة ما تصبو إليه من رقي وتقدم ..



# تحفة الفصح





## ثمرة الكفاح

في أسمال بالية رثة.. تكشف عن جسم نحيل ضامر.. وعينين غائرتين تعلوهما صفرة داكنة، ومظهر ينم عن فقر مدقع.. وقف ينتظر دوره.. وبيد مرتعشة قدم إلي عريضة يطلب فيها تعيينه بإحدى وظائف الخدم الشاغرة.. ونظرت إليه أفحصه وأتأمله.. لقد كانت كل معالم البؤس والشقاء ترتسم على محياه.. ورثيت لحاله إنه شاب تبدو على ملامحه مخايل الذكاء وأصالة الطبع، وهو أحق بالعون من غيره.

إلا أنني ساورتني المخاوف في أن يكون هذا الهزال البادي عليه نتيجة مرض عضال أو معدٍ قد يودي بحياته وحياة من يقوم بخدمتهم.. فأشرت عليه بالذهاب إلى الطبيب ليقوم بإجراء الكشف الطبي عليه، وأدرك مايجول بخاطري.. وقال في نبرة حزينة. وهل من الضروري إحالتي للطبيب؟؟ صدقني، إنني لم أشعر بأي ألم أو مرض طيلة حياتي.. إنه الجوع الكافر الذي ساقني إليك بعد أن أصبحت وحيداً في هذه الحياة، منذ أن قدر الله لوالدي أن يذهب، وكل ما يملكه ضحية سيل جارف ابتلعه وألقاه في اليم.. وأحس كأنه يجتر ذكريات الماضي الحزين المؤلم.. فانحدرت دموعه ساخنة من مآقيه.. وعزّ عليه هذا الموقف وهو العربي الأصيل المعز بنفسه وكرامته.. واندفع نحو الباب مسرعاً لايُلوي على شيء.. وشعرت بالآلام الفتى البدوي الذي ظن أنني ربما قد أسأت إلى شعوره.. فأرسلت في أثره موظفاً لإقناعه ومساعدته في إكمال ما تتطلبه إجراءات التعيين. وتوظف «حازم».. الشاب البدوي كخادم في إحدى المدارس. وبدأ يسترد صحته ونشاطه الجسمي، ويتفانى في إخلاص وجدٍّ فيما أوكل إليه من عمل حتى أضحي محبوباً بين أسرة المدرسة..

وكان أحب شيء إلى نفسه أن يرى أطفال المدرسة الصغار وهم يحملون كتبهم في

غدوهم ورواحهم والبشر، يطفح على محيّاهم .. ويستمع إليهم وهم يذاكرون دروسهم في الصباح قبل أن يدق جرس الدخول إلى الفصول، وكان يلدّ له أن ينصت إلى المعلمين وهم يلقّنون التلاميذ دروسهم .. ويغضب حين يرى تلميذاً يثير الفوضى أو يخلّ بالنظام داخل فصله ويسرع إلى مراقب المدرسة أو مديرها ليبلّغه ويلفت انتباهه ..

وشغرت يوماً وظيفة المراسل بالمدرسة بعد انتقال المراسل السابق إلى مدرسة أخرى نائية لإهماله في عمله، وأحس حازم أنها الوظيفة الملائمة التي تتيح له أن يؤدي أكبر خدمة للآباء والمدرسة والطلبة .. ولكن هذه الوظيفة رغم أن راتبها مماثل لراتبه .. إلا أنه لا تتوفر فيه الصلاحية لشغلها . فالمراسل لا بد أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة .. وهو يجهل كل شيء عنها .. وأحس برغبة وشوق جارف إلى التعليم ولكن هل يمكن لشاب بلغ الثلاثين من عمره أن يواصل تعليمه ..؟ وهل حقاً ما يقال «التعليم في الكبر كالنقش في الماء ..؟»

وطافت بخياله صورة ماضي طفولته .. وهو يجوب الصحراء يحمل في يده عصاه ليهش بها على غنمه يتنقل حيث الكلاً والمرعى .. لا يستقر في مكان وهو لا ينسى ذلك اليوم العصيب الذي جاء فيه معلم القرية إلى والده يطلب منه أن يلحقه بالمدرسة الحكومية .. ويلح في الرجاء والطلب .. بينما راح والده يهزأ ويسخر منه حتى نفذ صبر المعلم وبلغ يأسه .. وكم كان يومها معجباً ببراعة أبيه في السخرية والنيل من ذلك المعلم الطيب الناصح .. وتمنى أن تجود الحياة برؤية ذلك المعلم ذي القلب الطيب ليقبل يديه ويطلب منه الصفح والغفران .. فلو قبل والده يومذاك النصح .. وسمح له بالتعليم لأصبح الآن إنساناً له كيانه القوي في هذه الحياة .. وتذكر «سرحان» .. و«مسعود» .. و«جمعان»، رفقة الصبا الذين استمع آباؤهم لنصح المعلم وسمحوا لهم بالانتظام في المدرسة .. ترى أين وصل أولاد الرفقاء في تعليمهم ..؟

ألا تبتاً للجهل .. ألا تبتاً للجهل ما أقبحه !! .! بودي لو كان هذا الجهل اللعين شيئاً مجسماً مثلاً أمامي الآن لأحطمنه بيدي ولأمزقنه بأسناني وأقضي عليه بكل قوتي ..

إنه الطامة الكبرى... إنه الخسران والضلال المبين.. إنه السبب فيما أعانيه الآن من شقاء وحرمان من نعمة العلم والمعرفة..

ترى.. هل أظل قانعاً راضياً بهذه الحياة الرتيبة..؟ لا.. لا.. إنه الجهل.. إنه الجهل بعينه الذي يعيش في صدري الآن.. ولكن كيف السبيل إلى درب المعرفة والنور..؟ والقضاء على هذا الجهل والانتقام منه..

وأطرق طويلاً ساجداً في أحلامه.. يفكر في طريقة يهتدي بها ليقضي على الجهل الذي يعيش في أجواء نفسه.

ونسي ما كلفه به المدير من أعمال النظافة.. وصادف أن كان مراقب المدرسة الجديد يتفقد أحوال النظافة.. فإذا به يجد «حازماً» قد افترش الأرض، وكأنه يحادث نفسه بينما المقشة تتأرجح في يده.. وأخذ العجب من إهمال «حازم» وعدم عنايته.. فاقترب منه قائلاً:

ما شاء الله.. ما شاء الله.. ما هذا الذي تفعله يا حازم..؟ هيه هذا إهمال حازم.. هاه.. حضرة المراقب.. معذرة سأنظف كل شيء الآن..

**المراقب:** هيه.. هكذا أنتم أيها الخدم.. يبدو عليكم النشاط في البداية ثم تركزون إلى الكسل والخمول..

**حازم:** أرجوك يا حضرة المراقب مستحيل أن أركن إلى الكسل.. أو أهمل في واجبي..

**المراقب:** كفى.. لم أعد أحتمل هذه الاعتذارات الواهية.. تعال معي إلى المدير.. إنه الوحيد الذي تخشونه.. هيا..

**المدير:** ادخل..

**المراقب:** إن هذا الخادم يا سيدي غاية في الإهمال.. تصور انه حتى الآن لم ينجز ما عليه من عمل..؟ رجوتك ألا ترأف بهذا الصنف، فأمثال هؤلاء لا ينفع معهم إلا الشدة.



**المدير :** « حازم » مهمل ..؟ هذا غير معقول .. غير معقول .  
**المراقب :** لقد أبصرته يا سيادة المدير بنفسى سارحاً مفترش الأرض لا يقوم بواجبه كما ينبغي .. وإلا ما الذي يدعوني إلى اتهامه ؟  
**المدير :** أنت قد لا تعرف « حازماً » يا حضرة المراقب .. لأنك لم تباشر العمل إلا منذ أسبوع .. إنه أقدم مستخدم هنا في المدرسة .. ومثال للنشاط في عمله .  
اتركه لي وانصرف لشؤون المدرسة ..  
**المراقب :** أمرك يا سيدي المدير .  
وفي صمت ينم عن حزن عميق .. راح « حازم » يقص على المدير ما كان يفكر فيه .. معتذراً إليه عما بدا منه من تقصير إزاء عمله ..

وأعجب المدير بـ « حازم » ، إنه لا يزال في عنفوان شبابه ، ويستطيع أن يشق طريقه في التعليم .. فإن طاقات الذكاء التي يتمتع بها كفيلة بأن تهيه ما يتمناه وتحقيق له آماله . فهذه مدارس محو الأمية التي بدأت تنتشر وتغزو كل مكان والتي تمدّها الدولة بكل الإمكانيات .. إنها المكان المناسب لأمثال « حازم » ، وعجب كيف غاب عن ذهنه ألاّ يطالب بفتح مدرسة لمحو الأمية في هذا الحي الكبير الذي يزخر بالأميين من طبقة العمال والخدم الذين لا هم لهم إلا التسكّع في المقاهي والتندّر بأحاديث تافهة .. وشد المدير على يد « حازم » وصارحه بما اعتزم عليه من فتح مدرسة لمحو الأمية ..

وبدأ يسعى مع المسؤولين في الحصول على فتح هذه المدرسة وتحقيق له ما أراد .. وبدأت المدرسة تستقبل الأفواج من الأميين ممّن حرّموا نعمة التعليم .. وفي همة ونشاط بدأ حازم يتذوق رحيق العلم وحلاوته فأنهى مرحلة دراسة محو الأمية .. ثم التحق بقسم المتابعة .. وحصل على الشهادة الابتدائية ونال وظيفة المراسل التي يتمناها .

ولم يأس .. ظل يكافح ويناضل حتى حصل على الشهادة المتوسطة .. وتقدم لإحدى مسابقات الوظائف الإدارية الشاغرة .. ونجح .. وبدأ يواصل العمل الإداري

وعلى شفثيه ابتسامة الأمل والنصر بما حققه .. إنه يحس أنه بدأ انطلاقاً جديدة في حياته .. بعد حياة الشقاء والتعاسة، إنه لم يعد ذلك الخادم الذي يؤمر ليقوم بأي عمل يكلف به .. لا يستطيع أن يقول لا ..

أما الآن .. فهو موظف له احترامه وتقديره .. ولرأيه وزن واعتبار .. وشعر بسعادة غامرة ونشوة بالغة .. وأطرق ساهماً يستعرض ماضي حياته .. خيره وشره .. وراح يسأل نفسه هل يكفي هذا القدر من التعليم الذي وصلت إليه ..؟ أم أتابع دراستي الثانوية .. فالجامعية ..؟

وهل يمكن التوفيق بين عملي الجديد ومتابعة الدراسة ..؟ وأحس بفداحة العبء .. عبء العمل الوظيفي وعبء المذاكرة والتحصيل .. وفضل أن يتفانى ويخلص في عمله .. واستطاع أن يكسب ثقة رئيسه بما حققه من نجاح وتوفيق في عمله في مدى عام واحد .. ولكن الحنين إلى العلم والرغبة في الاستزادة منه عاوداه من جديد .. وتلفت حوله .. فرأى بعض زملائه في دوائر أخرى استطاعوا أن ينتظموا في الدراسة ليلاً بالمدرسة الثانوية التي هيأتها وزارة المعارف لمن فاتهم ركب التعليم الثانوي .. وصارح رئيسه بما كان يعتلج في نفسه ووجد التشجيع والترحيب .. وتطوع أحد زملائه ممن يكنّ له الحب والتقدير بأن يخفف عنه عبء العمل ويمد له يد العون ليستمر في الدراسة الثانوية ليلاً .. وتهياً له ما أراد .. وظل يوالي الليل والنهار في عمل دائب .. مكباً على المذاكرة والتحصيل .. محافظاً على الانتظام في الدراسة .. حريصاً على الاستفادة من مدرسيه .. لاتفوته شاردة ولا واردة إلا وسأل عنها .

وبعد ثلاثة أعوام من الكفاح المرير في الدراسة .. استطاع أن يتقدم لامتحان المرحلة الثانوية وكان ترتيبه الأول بين طلبة المنازل .. وكانت فرصة بالغة .. وأحس أنه بدأ يخطو نحو القمة .. قمة المجد والعلواء .. ولكن قم العلم والمعرفة شاحخة .. وطريق الوصول إليها شاق وعسير .. يتطلب المزيد . والبذل والتضحية والتفاني .. إنه الطريق إلى الجامعة .. والدرب طويل يحتاج إلى عزيمة وصبر وإرادة قوية وطاقة جبارة وإمكانات مادية قد لا يقوى عليها .. فإن ما ادخره من كده وعرق جبينه قليل، لا يكفيه

مؤونة هذه الرحلة الشاقة .. وهو قد جاوز الأربعين من عمره وقد خط الشيب رأسه .

فهل يواصل حياة العلم وهجر العمل حتى يتفرغ بالكامل للدراسة الجامعية .. ولكن من المحال أن يوفق بين العمل والدراسة في آن واحد .. لا بد أن يختار طريقاً واحدة .. وتذكر قول شاعر المغرب أبي القاسم الشابي :

ومن يتهب صعود الجبال      يعيش أبد الدهرين الحفر

واستقر رأيه على أن يكمل دراسته الجامعية مهما كلفه ذلك من ثمن .. وقدم استقالته في اليوم الثاني من عمله .. وتطلع إليه رئيسه مشدوهاً .. إنه يدرك أن « حازماً » موظف مثالي ينتظره مستقبل باسم في عمله الوظيفي . ولا يوجد من يخلفه في كفاءته وأدبه وعمله وخلقه .. إنه خسارة لا تعوض .. وحاول أن يثنيه عن عزمه .. ولكن « حازماً » صلب الرأي إذا عقد العزم على شيء واقتنع به فن الصعب أن تلين قناته .

ومضى حازم يحث الخطى في صمود وثبات وشجاعة نادرة لتحقيق ماتصبو إليه نفسه من آمال كبار آملأ في أن ينال ثمرة كفاحه الطويل ..

ترى .. هل تحقق لحازم البدوي حلمه الكبير .. ؟  
لقد أثبتت أيام النضال والصراع التي عاشها حازم .. أن لا مستحيل في هذه الحياة أمام الإرادة القوية والجهاد المستميت في طلب العلم ..

فن جد وجد ومن سار على الدرب وصل ..

لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله      لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

# فهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
وفاء	١٥
النهاية السعيدة	٢٥
خدعتني بحبها	٣٣
قسوة وعذاب	٤٣
الوداع الأخير	٥٥
عودة الحياة	٦٥
ثروة من السماء	٧٥
الأمم الضائع	٨٣
عندما تصفو القلوب	٩٥
نرجس	١٠٧
المفاجأة الأخيرة	١١٧
همام	١٢٥
ثمرة الكفاح	١٣٣



## إصدارات إدارة النشر بتهامة

### الكتاب العربي السعودي

#### صدر منها :

##### الكتاب

##### المؤلف

- \* الجبل الذي صار سهلاً
- \* من ذكريات مسافر
- \* عهد الصبا في البادية
- \* التنمية قضية
- \* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
- \* الظمأ ( مجموعة قصصية )
- \* الدوامه ( قصة طويلة )
- \* غداً أنسى ( قصة طويلة )
- \* موضوعات اقتصادية معاصرة
- \* أزمة الطاقة إلى أين ؟
- \* نحو تربية إسلامية
- \* إلى ابنتي شيرين
- \* رفات عقل
- \* شرح قصيدة البردة ( دراسة وتحقيق )
- \* عواطف إنسانية ( ديوان شعر )
- \* تاريخ عمارة المسجد الحرام
- \* وقفة
- \* خالتي كدرجان ( مجموعة قصصية )
- \* أفكار بلا زمن
- \* علم إدارة الأفراد
- \* الإبحار في ليل الشجن ( ديوان شعر )
- \* طه حسين والشبخان
- \* التنمية وجهاً لوجه
- \* الحضارة عُدَّ
- \* عبر الذكريات ( ديوان شعر )
- \* لحظة ضعف
- الأستاذ أحمد قنديل
- الأستاذ محمد عمر توفيق
- الأستاذ عزيز ضياء
- الدكتور محمود محمد صفر
- الدكتور سليمان محمد الغنام
- الأستاذ عبد الله جفري
- الدكتور عصام خوقير
- الدكتورة أمل محمد شطا
- الدكتور علي بن طلال الجهني
- الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
- الأستاذ أحمد محمد جمال
- الأستاذ حمزة شحاتة
- الأستاذ حمزة شحاتة
- الدكتور محمود حسن زيني
- الدكتورة مريم البغدادي
- الشيخ حسين باسلامة
- الدكتور عبد الله حسين باسلامة
- الأستاذ أحمد السباعي
- الأستاذ عبد الله الحصين
- الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
- الأستاذ محمد الفهد العيسى
- الأستاذ محمد عمر توفيق
- الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الدكتور محمود محمد صفر
- الأستاذ طاهر الزمخشري
- الأستاذ قواد صادق مفتي

\* الرجولة عماد الخلق الفاضل

\* ثمرات قلم

\* بائع التبغ

\* أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة

\* النجم الفريد

\* مكانك عمدي

\* قال وقلت

\* نبض ..

\* نيت الأرض

\* السعد وعد ( مسرحية )

\* قصص من سومرست موم

\* عن هذا وذاك

\* الأصداف ( ديوان شعر )

\* الأمثال الشعبية في مدن الحجاز

\* أفكار تروية

\* فلسفة المجانين

\* خدعتني بجها ( مجموعة قصصية )

\* نقر العصفير ( ديوان شعر )

## تحت الطبع :

\* رسائل إلى ابن بطوطة ( ديوان شعر )

\* قصص من طاغور

\* السنيورا ( قصة طويلة )

\* التاريخ العربي وبدايته

\* تأملات في دروب الحق والباطل

\* أيامي ..

\* ماما زبيدة ( مجموعة قصصية )

\* مدارسا والتربية

\* دوائر في دفتر الزمن ( مجموعة قصصية )

\* جسور إلى القمة

\* هكذا علمني وردزورث

الأستاذ حمزة شحاتة

الأستاذ محمد حسين زيدان

الأستاذ حمزة بوقري

الأستاذ محمد علي مغربي

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ أحمد محمد جمال

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عبد الله جفري

الدكتورة فاتمة أمين شاكر

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ عزيز ضياء

الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

الأستاذ أحمد قنديل

الأستاذ أحمد السباعي

الدكتور إبراهيم عباس نتو

الأستاذ سعد البواردي

الأستاذ عبد الله بوقس

الأستاذ أحمد قنديل

الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي

الأستاذ عزيز ضياء

الدكتور عصام خوقير

الأستاذ أمين مدني

الشيخ عبد الله عبد الغني خياط

الأستاذ أحمد السباعي

الأستاذ عزيز

الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

الأستاذ سباعي عثمان

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهر

الأستاذ عزيز ضياء  
الأستاذ حسن عبد الحفي نواز  
الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي  
الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري  
الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ  
الشيخ حسين باسلامة  
الشيخ حسين باسلامة  
الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار  
الأستاذ محمد حسين زيدان  
الأستاذ محمد علي مغربي

\* عام ١٩٨٤ لجورج أورويل  
\* مشواري مع الكلمة  
\* وجيز النقد عند العرب  
\* لن تلحد  
\* خواطر جريئة  
\* تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها  
\* الإسلام في نظر أعلام الغرب  
\* قضايا .. ومشكلات لغوية  
\* كلمة ونصف  
\* ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز

## الكتاب الجامعي

### صدر منها :

الدكتور مدني عبد القادر علاقي

الدكتور فؤاد زهران

الدكتور عدنان زهران

الدكتور محمد عيد

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتور فاروق سيد عبد السلام

الدكتور عبد المنعم رسلان

الدكتور أحمد رمضان شقيلة

الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

الدكتور سعاد ابراهيم صالح

الدكتور محمد ابراهيم أبو العينين

الأستاذ هاشم عبده هاشم

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتور مريم البغدادي

\* الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية

\* الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق

( باللغة الانجليزية )

\* التومن الطفولة إلى المراهقة

\* الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

\* النفط العربي وصناعة تكريره

\* الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

\* علاقة الآباء بالأبناء ( دراسة فقهية )

\* مبادئ القانون لرجال الأعمال

\* الاتجاهات العددية والتنوع للروايات السعودية

\* مشكلات الطفولة

\* شعراء التروبادور



## تحت الطبع :

الدكتور أمين عبد الله سراج  
الدكتور سراج مصطفى زقزوق

الدكتور لطفي بركات أحمد

الدكتور عبد الرحمن فكري

الدكتور محمد عبد الهادي كامل

الدكتور عبد الوهاب علي الحكيم

الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

الأستاذ نبيل عبيد الحي وضوان

\* أمراض الأذن والأنف والحنجرة

\* الفكر التربوي في رعاية الموهوبين

\* النظرية النسبية

\* الأدب المقارن

( دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية )

\* هندسة النظام الكوني في القرآن

\* الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية



مطبوعات  
PUBLICATIONS

## صدر منها :

الأستاذ صالح إبراهيم

الدكتور عمود الشهابي

الأستاذة نوال قاضي

\* حارس الفندق القديم

\* دراسة نقدية لفكر زكي مبارك ( باللغة الانجليزية )

\* التخلف الإملائي

\* ملخص خطة التنمية الثالثة

للمملكة العربية السعودية ( باللغة العربية )

\* ملخص خطة التنمية الثالثة

للمملكة العربية السعودية ( باللغة الانجليزية )

الدكتور حسن يوسف نصيف

الشيخ أحمد بن عبد الله القاري

الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي

\* تسالي

\* مجلة الأحكام الشرعية

( دراسة وتحقيق )

الأستاذ إبراهيم سرسيق

الأستاذ علي الخرجي

\* النفس الإنسانية في القرآن الكريم

\* خطوط وكلمات ( رسوم كاريكاتورية )

الدكتور عبد الله محمد الزيد

\* واقع التعليم في المملكة العربية السعودية

( باللغة الانجليزية )

صحة العائلة في بلد عربي متطور

الدكتور زهير أحمد السباعي

## تحت الطبع :

- \* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام
- \* القرآن .. ودنيا الإنسان
- \* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف
- \* الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية
- \* الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك
- \* ألوان
- \* عطر وموسيقى
- \* أضواء على نظام الأسرة في الإسلام
- \* وللخوف عيون ( مجموعة قصصية )
- \* سوانح وخطرات
- \* الحجاز واليمن في العصر الأبوي
- \* نقاد من العرب
- \* ماذا تعرف عن الأمراض
- \* جهاز الكلية الصناعية
- \* مساء يوم في آذار
- \* النيش في جرح قديم
- \* الموت والانبسامة
- \* مواسم الشمس المقبلة

- الأستاذ محمد أمين ساعاتي
- الأستاذ صلاح البكري
- الدكتور حسن محمد باجودة
- الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ محمد اسماعيل جوهري
- الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
- الدكتور جميل حرب محمود حسين
- الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- الدكتور اسماعيل الهلباوي
- الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الأستاذ عبد الله باقازي
- الأستاذ محمد علي قدس

## رسائل جامعية

## تحت الطبع :

- \* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
- \* القصة في أدب الجاحظ
- \* الخراسانيون ودورهم السياسي
- \* تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
- \* نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
- \* افتراءات فليب حتى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي

- الأستاذة أميرة علي المداح
- الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الأستاذة فوزية حسين مطر
- الأستاذ رشاد عباس معنوق
- الأستاذ عبد الكريم علي باز

# كتاب للأطفال

للأستاذ يعقوب اسحاق

لكل حيوان قصة

## صدر منها :

- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر ..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

# كتاب للناسين

وطني الحبيب

## صدر منها :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

جدة القديمة \*

## تحت الطبع :

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

جدة الحديثة \*

الأستاذ عزيز ضياء

حكايات للأطفال \*

الأستاذة فريدة فارسي

قصص للأطفال \*

## English Books Published By Tihama

- ✱ Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.  
By F. M. Zahran  
A.M.R. Jamjoom  
M.D. EED
- ✱ Zaki Mubarak: A Critical Study.  
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- ✱ Summary of Saudi Arabian  
Third Five year Development Plan
- ✱ Education in Saudi Arabia, A Model with Difference  
By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- ✱ The Health of the Family in A Changing Arabia  
By Dr. Zohair A. Sebai
- ✱ Diseases of Ear, Nose and Throat  
Dr. Amin A. Siraj  
Dr. Siraj A. Zakzouk
- ✱ Tihama Economic Directory.
- ✱ Riyadh Citiguide.
- ✱ Banking and Investment in Saudi Arabia.
- ✱ A Guide to Hotels in Saudi Arabia.

